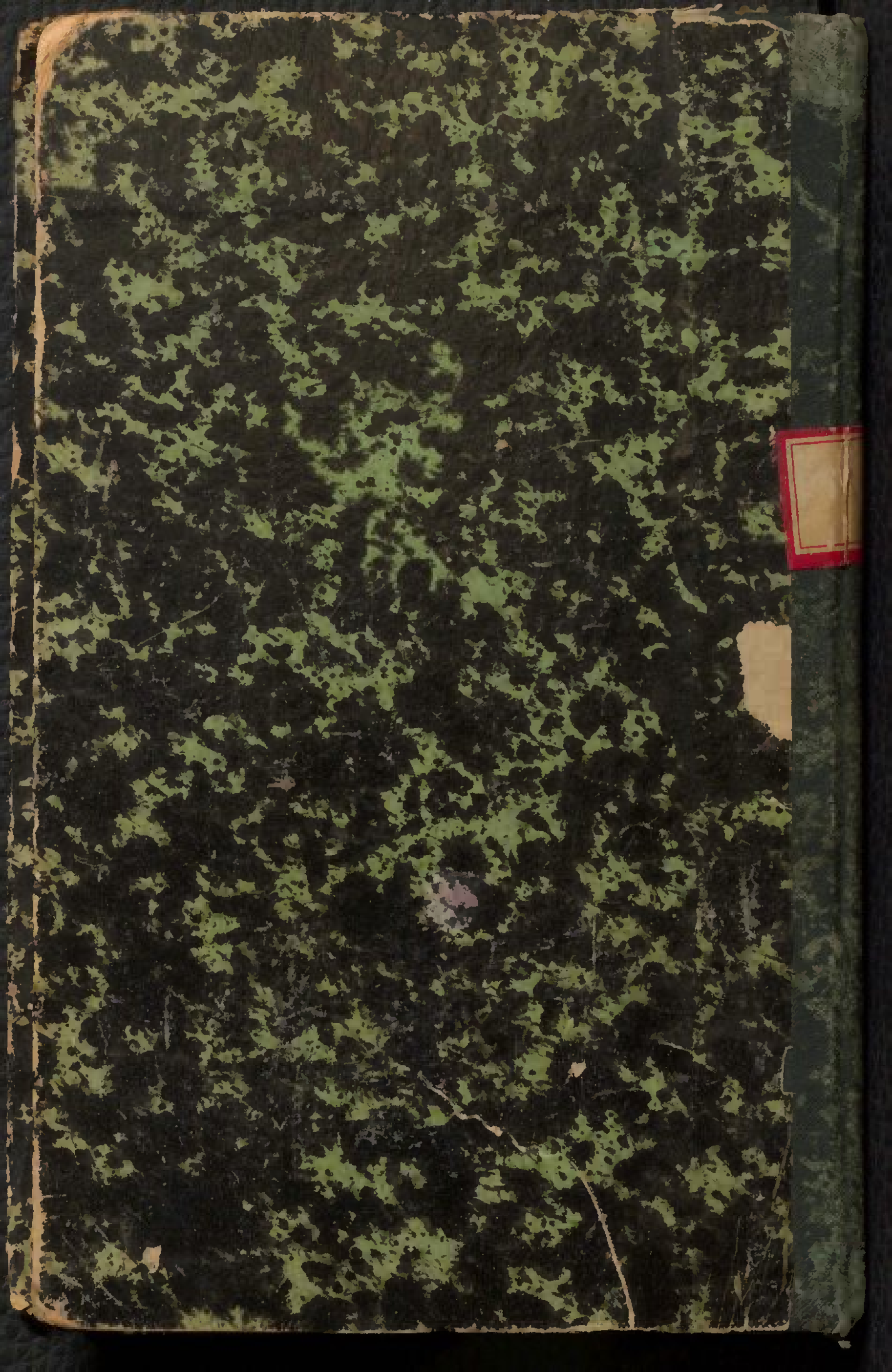
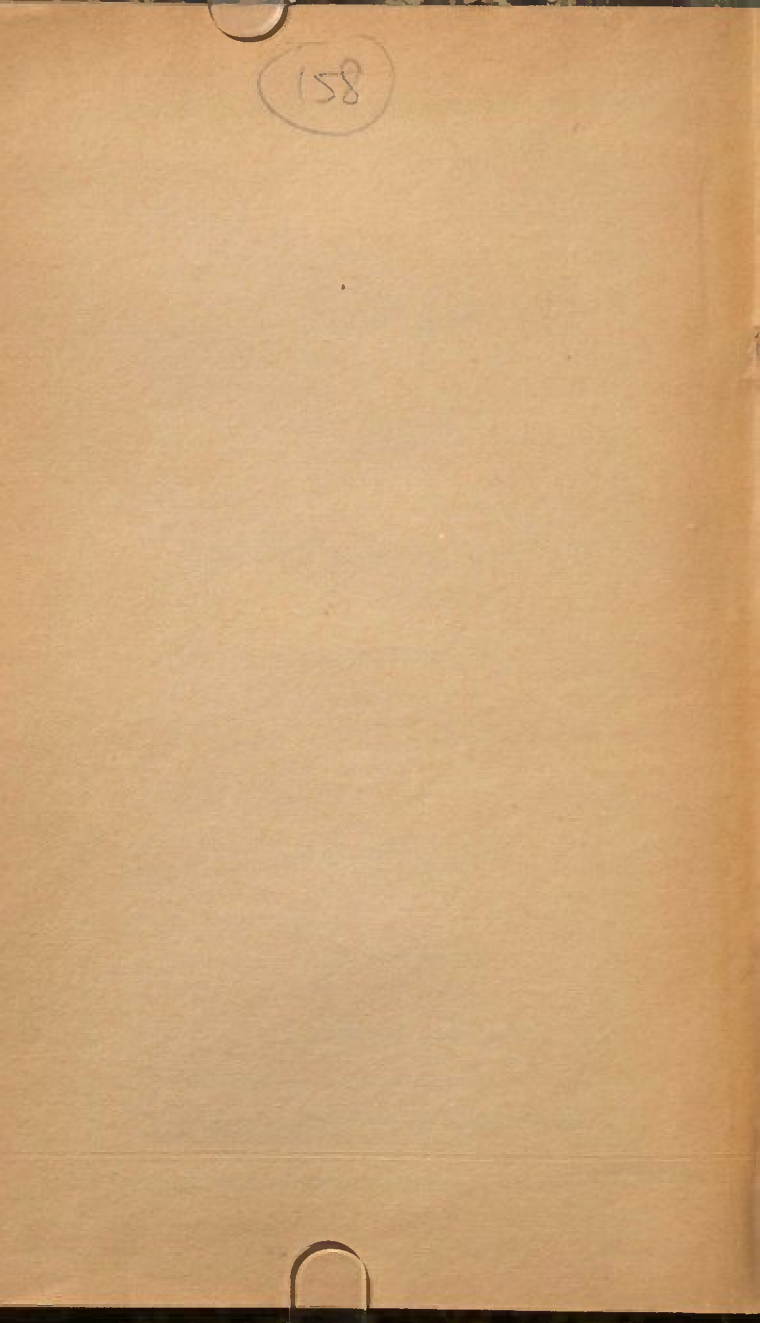
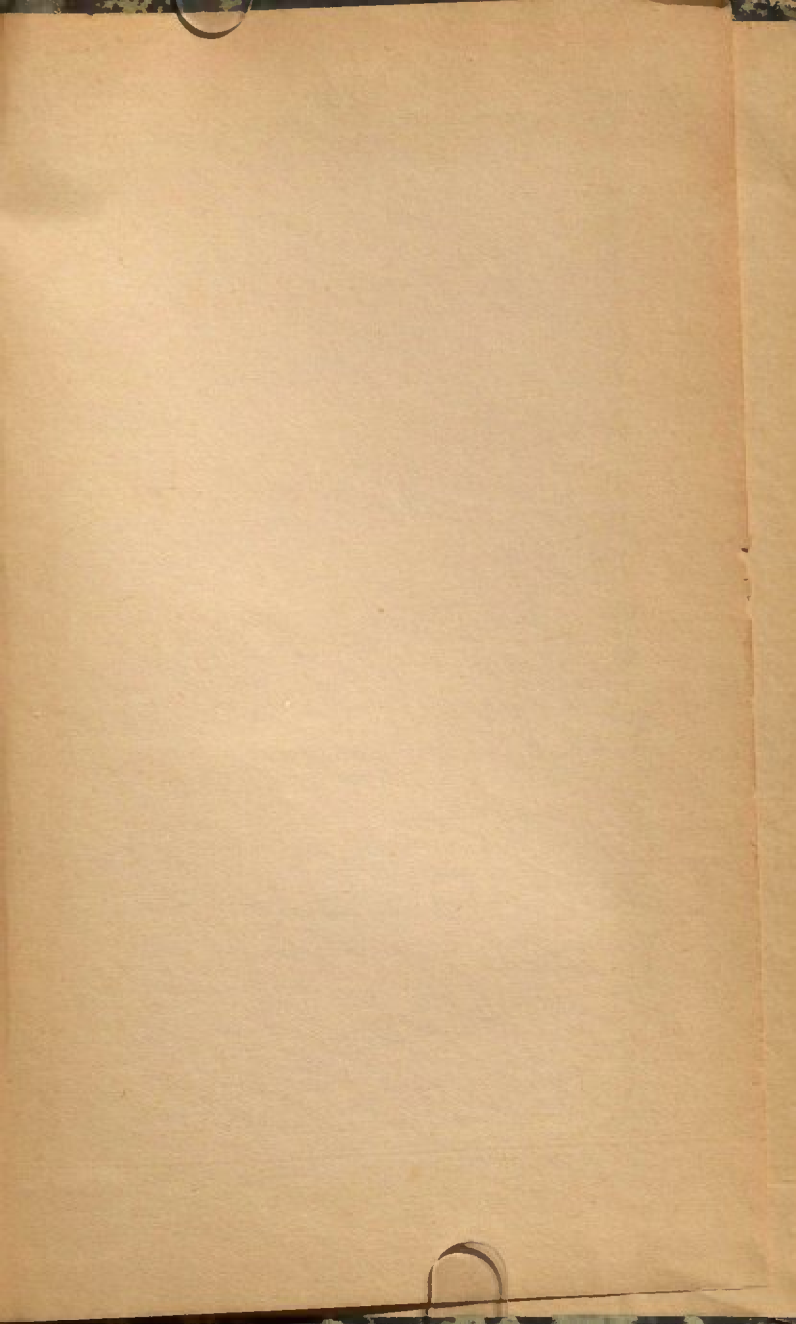






العقد النظيم

في

اصل الروسيين واعتناقهم الايمان القويم

تأليف

خليل ابراهيم بيدس

طبع بالمطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) سنة ١٨٩٧

تقدمة الكتاب

سيدي واستاذي الاكرم صاحب الفضل المشهور والأثر المنشور اليكسندر ايڤانوڤيتش ياكوبوڤيتش المحترم

مدير المدارس الارثوذكسية المؤسسة في سوريا وفلسطين بنفقة الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية

هذا يا رعاك الله كتاب اردت به ذكر اصل الدولة الروسية وكيف كانت في العصور الغابرة والقرون العابرة وما هي احوال سكانها الاولين واوصافهم وادیانهم وقديم عوائدهم وسائر شؤونهم . ومن قام في تلك البلاد من الامراء السالفين في بدء التاريخ الروسي

مع وصف احوالهم ونشر اعمالهم وتنصرهم وانتشار الديانة المسيحية في انحاء بلادهم

وقد جعلتهُ تقدمةً لك يا قدوة الفضلاء ومثال النبلاء وان كان دون ما يليق بشأنك وفضلك ٠ فارمقهُ رعاك الله بطرف المعذرة والقبول ٠ فذاك هو المأمول والمسئول

هدية العبد على قدرهِ والقصد ان يقبلها السيدُ

لا زالت القلوب على مودتك متطابقة ٠ والشهادات لك بالفضل متناسقة ٠ وادامك الله عوناً للعلم وطالبيه ٠ وعقداً للفضل وذويه ٠ ومصباحاً للادب وبنيه

تلميذك المعترف بجزيل فضلك

خليل ابراهيم بيدس

حمص في ١٣ نيسان سنة ١٨٩٧

الفصل الاول

السلاف او الصقالبة

انه قبل زماننا الحاضر بمقدار نيف والف سنة كان يقطن الاراضي الروسية شعبان عظيمان وهما السلاڤياني والفيني . وكان الاول مستولياً على مقاطعات نهر دنيبر ودڤينا الغربي وڤولكاو بحيرة ايلمن ونهر ڤولخوف وغيرها من الاماكن . اما الفينيون فكانوا منتشرين في السهول المنبسطة قرب البحر الابيض وجبال اورال . وكان كلٌ من هذين الشعبين منقسماً الى قبائل متعددة . فمن قبائل السلاف (الصقالبة) المستحقي الذكر الاقوام الذين استوطنوا البلاد التي قيل لها بعد ذلك روسيا

(١) قبيلة البوليانه

ان هذه القبيلة كانت تقيم عند منتصف مجرى نهر دنيبر. ودُعيت هكذا لانتشارها في الحقول (بوليا) وقد بنى هؤلاء البوليانيون مدينة على شاطئ نهر دنيبر الشرقي دُعيت فيما بعد كيڤ نسبة الى موسسها «كي»

(٢) قبيلة الكريڤتشي

وكانت هذه القبيلة الكبيرة متفرقة حول انهر دنيبر وڤولكا ودڤينا الغربي · ومن المدن التي انشأتها هذه القبيلة سمولنسك و بولوتسك وغيرهما

(٣) الشماليون

وهي قبيلة كانت مستولية على ولاية نوڤغورود الحالية بالقرب من بحيرة ايلمن · اما عاصمتها فكانت مدينة نوڤغورود المشهورة باتساعها وعظمتها

(٤) قبيلة الدريڤليانه

اما هذه القبيلة فكانت منتشرة في احراش مقاطعة

ڤولين الحالية المشهورة بكثرة اشجارها وغزارة نباتها · ولذا دُعيت قبيلة « الدريڤليانه » نسبةً الى ديريڤو (شجرة)

. . . .

وكان الصقالبة اكثر بطشاً وحكمةً من الفينيين فكانوا يضيقون عليهم ويسدون امامهم ابواب الرحمة والشفقة ويسقونهم من شراب العذاب ما جعلهم يخضعون لهم صاغرين · فدخل السلاڤيانيون بين ظهرانيهم وشددوا الوطأة عليهم وقتلوا زعماءهم وعلموهم عوائدهم ولغتهم وجعلوهم لاشارتهم منقادين · ولاوامرهم طائعين

وكان يحكم كل قبيلة من قبائل الصقالبة شيخٌ او اميرٌ مستقل يسوسها ويدبر شؤونها ويحل المشكلات والصعوبات التي تعترض قبيلته · واذا وقع امرٌ مهم متعلق ببعض الطوائف كان امراؤها يجتمعون في

المدن ويتداولون في حله على وجه يرضي الجميع ·
وكثيراً ما كان يحدث خصام ومشاجرات ذات شان
من جراء هذه الاجتماعات نهايتها الحروب والفتن
والمقاومات والنهب والسلب وشن الغارات وغير ذلك
من الافعال الوحشية والاعمال البربرية· وهذا ما آل
الى ضعفهم وجلب لهم الدمار والخراب · وكانوا جميعاً
لا يعرفون القراءة والكتابة اذ لم يكن الى ذلك الوقت
قد أُستُنبطت حروف الهجاء السلافيـة · وكانت
السذاجة ضاربة اطنابها فوق رؤوسهم ترضعهم من
حليبها وهم في وديان الجهل غارقون · وبجبال الهمجية
مستعصمون · تقذفهم امواج اميالهم الحيوانية من ناحية
لاخرى وما هم الى شاطيء التمدن مهتدون · يشربون
من سم ام دَرْفاء وهم في غباوتهم يعمهون· ولا يعلمون
في اي طريق يسيرون

— عوائدهم —

ولئن كان الصقالبة في ظلمات من الجهل والغباوة وعلى ابعاد من الفضيلة الاَّ ان من عوائدهم ما يرتاح اليه الضمير ويقبله الطبع الانساني · وها نحن نذكر هنا اهمها ونكلف القاري اللبيب بالحكم على ايها حسن وعلى ايها قبيح · فمن عوائدهم

(١) الرفق بالاسرى ورحمتهم والشفقة عليهم واطلاق سبيلهم بعد ان يقضوا عندهم ردحاً من الزمن

(٢) فتح ابواب الحرية للبنات وزجّ النساء في حفر الاشغال الشاقة والاعمال الثقيلة وتسنم جبال الصعوبات · فكانت المرأَة أمةً للرجل يذيقها من انواع العذاب اهوالاً · ومن صنوف التجارب احمالاً · وكان يباح للرجل الاقتران باكثر من واحدة

(٣) عدم دفن الموتى · فكانوا يطرحون جثث الموتى على الارض او يحرقونها · ومنهم من يدفنها وهولاء

قليلون · فكانوا غالباً ياخذون جثة الميت ويضعونها على الثرى ومن ثم يبتدئون بالسباق واللحاق والمصارعة والغناء والرثاء اظهاراً للأسف والحزن ·

(٤) عدم ايصاد الابواب فكانوا يتركونها مفتوحة ويبقون في داخلها شيئاً من المآكل اعداداً لغريب بعيد او طارق مفاجيء وكانوا على جانب عظيم من الكرم والسخاء والقيام بحق الضيافة · فكانوا يكرمون جداً من نزل بجوارهم غاضين النظر عن اصلهِ وفصلهِ وينتصرون لكل من استغاث والتجأ بهم

(٥) عدم المؤاخذة بالسرقة · فكان يباح للصقالبة السرقة السرية : اي انه اذا سرق احدهم شيئاً ما مما يخص جارهُ اواحداً سواهُ بدون علم منه او خبر يُعد فعله هذا من باب الحذاقة والخفة والمعرفة وحسن التصرف والسداد والحكمة

— احوال معيشتهم وصناعتهم —

وكان الصقالبة يأوون الى اكواخ حقيرة لكل واحد منها بابان او ثلاثة تساعدهم على الهرب السريع من كل صوب عند ما يداهمهم العدو المفاجيء . لان القلاقل والاضطرابات كانت سائدة اذ ذاك في ارجاء بلادهم تتقاذفهم ايدي الاعداء ويوقعون بهم ولا يرحمونهم بل كانوا يلقون عليهم احمال الجزية الثقيلة ويسلبونهم اموالهم ويفتكون بهم فتكاً ذريعاً . وكان الغني منهم يدفن كنوزه وامواله في الارض اتقاء مفاجأة العدو . اما الوسائل التي كانوا يستعملونها لاجل تحصيل رزقهم فهي الفلاحة والزراعة وصيد الاسماك والوحوش ورعاية المواشي وتربيـة النحل والتجارة مع الامم المجاورة لهم بالحنطة وجلود الحيوانات والعسل . وكانت اكثر تجارتهم على السفن خوفاً من هجوم الاعداء في البر

— بنيتهم —

وكان الصقالبة مشهورين بطول القامة والشجاعة والبأس لا يؤَثر فيهم العطش او الحر بعيدين عن الامراض والاوجاع اجشاء الصوت قليلي التكلم سريعي الغضب قريبي الرضا مشهود لهم بحدة النظر وقوة الساعد لا تقدر عليهم جيوش الاعداء اذا كانوا يتفقون ضدهم . ولكن أنّى يكون لهم هذا وهم يبغضون بعضهم اكثر من العدو . اما سلاحهم فكان مقصوراً على السهام والرماح القصيرة لا غير . وكانت سهامهم على الغالب مسمومة

— عبادتهم —

وكان الصقالبة اماً يعبدون الاوثان و يقدمون لها الضحايا والذبائح المختلفة من الحيوانات واحياناً من البشر . اما آلهتهم فكانت عديدة اجلها عندهم مما يأتي

(١) بيرون — اله الرعد والبرق والحرب والسلام

(٢) داجد بوغ — اله الشمس

(٣) ديدلادو — شيخ النور والفرح

(٤) دوموفوي — اله البيوت

(٥) ڤوديانوي — اله الماء

(٦) ليشي — اله الحرش

(٧) ليول وليل وكيكيمور وجيڤي وبابا ياغا وغيرها

وكانوا يعيدون لهذه الالهة في اوقات مختلفة من السنة اشهرها للشمس . منها :

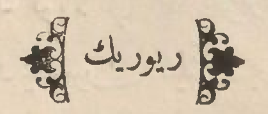
(١) عيد كوليادا — في اواخر كانون الاول — وكان معظمهم يخرجون في هذا العيد من البيوت ويجتمعون مع بعضهم في احدى الساحات لاقامة الافراح العمومية وتقديم الضحايا المختلفة لهذا الكوكب العظيم

(٢) عيد الربيع — وفي هذا العيد كانوا يجتمعون مع بعضهم للرقص والغناء اكراماً للشمس

(٣) عيد كوبالا في ٢٣ حزيران — وكانوا مساء هذا العيد يجمعون شيئاً كثيراً من النبات ويوقدون نيراناً في محلات متعددة الى حيث كانوا يتقاطرون ويلعبون ومن ثم يغتسلون في الانهر · وكانوا يزعمون ان الاشجار في هذا العيد تتحدث مع بعضها وتخطر في الاحراش وكانوا يقدمون في هذا النهار ضحايا كثيرة للشمس منها ديك ابيض

وكان الصقالبة يعتقدون بان انفس الموتى تبقى بعد انفصالها عن الجسد في عالم الارواح وتجتمع ابان الربيع · لتقيم الافراح والمسرات · وكانوا يدعونها روسالكي ويقيمون لها عيداً اسمه سيميك وينشرون على اغصان الاشجار كثيراً من الاثواب والمناشف لتأخذها الروسالكي سداً لاحتياجاتها

الفصل الثاني



ريوريك

اول امير روسي

« حكم سنة ٨٦٢ وتوفي سنة ٨٧٩ »

كان بجوار البلاد السلاڤيانيـة شعوب كثيرة اتصفوا في تلك القرون الخالية بالبسالة والشجاعة واشتهروا بالبطش والصولة وعُرِفوا بالاشداء والجبابرة ولُقّبوا بارباب القوّة والعزة · وكان الصقالبة يدعونهم «الڤارياغيين» ويخشون سطوتهم وشدة بأسهم وصعوبة مراسهم وبسالة جيوشهم الجرارة · وصلابـة قلوبهم الغدارة · لانهم كانوا في اغلب اوقات السنة يشنون الغارات على بلاد الصقالبة ويحرمونها خيراتها ويسلبونها غناها ويذيقون سكانها عذاب الحروب وانواع المحن

ويشدون اكتافهم بحبال نير العبودية الذليلة ويقيدونهم بقيود الجزية الثقيلة · وكان لسان حال بلادهم يقول

دهتني صروف الدهر وانتشب الغدرُ

ومن ذا الذي في الناس يصفو له الدهرُ

ولو كان الصقالبة يتحدون دفاعياً وهجومياً ورأياً لخافهم العدو وحفظوا بانفسهم لانفسهم وهذا امر مقرر لا يحتاج الى برهان · فلو كان امراء هذه القبائل منضوية الى لواءٍ واحد متفقة الكلمة متحدة القلب تقوم لقيام مصلحة واحدة وتقعد لقعود امرٍ واحد لاكتسبوا قوةً ونفوذاً لا مزيد عليهما وظفروا على اعدائهم في كل ما يريدون · ولكن هو الجهل يعمي البصائر ويجعل الناس ان يكونوا على رتبة واحدة مع الحيوانات العجم

وما زال السلافيانيون تائهين في وديان الذل والعبودية تتقاذفهم ايادي الاعداء، وتمزّق قواهم

وتستعبد رجالهم وتسبي نساءهم واولادهم الى ان ظهر بينهم رجل مهيب من ذوي العقول الثاقبة والافكار الصائبة · واسمه غوسطوميسل. وكان شيخاً جليلاً مجرّباً مدرباً لا تزدهيه الخطوب · ولا تحيك في نفسه البلايا والكروب · لاقتداره على تصريفها وحل عويصها فهذا البطل المقدام الذي تفتخر بهِ روسيا ويجله ابناؤها ويتمثلون به عند هجوم الكوارث والنوائب اشار على امراء القبائل الشمالية ان يتحدوا جميعاً وينتخبوا لهم اميراً عظيماً · وحاكماً حكيماً · يسوس احوالهم وينظم امورهم وينجح اعمالهم ويدبر شؤونهم شأن الامم المجاورة

فاجتمع امراء بعض القبائل الشمالية وشيوخها وكبراؤها والمتقدمون بين الرجال وجعلوا يتداولون في ما يتعلق بهم ويضمن راحتهم وسعادتهم · فصمموا على الاتحاد وطرد الاعداء · فنهضوا متكاتفين متضافرين وجاهروا بالعصيان والحرب وطردوا الفاريا غيين من

بلادهم بعد ان اذاقوهم العذاب الاليم

فلا ترضى بمنقصةٍ وذلٍّ

ونقنع بالقليل من الحطامِ

فعيشك تحت ظل العز يوماً

ولا تحت المذلة الف عامِ

ثم قرّ رأيهم ان ينتخبوا اميراً غريباً عنهم لئلاَّ يميل مع تمادي الايام الى قبيلته . فاستشاروا بذلك عوسطوميسل . فاشار عليهم ان يرسلوا بعض اكارهم واعيانهم الى قبيلة الروس[1] ويدعوا بعض امرائهـا ليحكموا عليهم بالعدل والانصاف

فانتخب السلاڤيانيون وفداً مؤلفاً من كبارهم واعيانهم وارسلوهم الى هذه القبيلة مصحوبين بهدايا كثيرة الى امرائها . فلما وصل الرسل اليهم خاطبوهم قائلين

(١) احدى قبائل الڤاراياغيين . وكانت هذه القبيلة اقرب القبائل الى بلاد الصقالبة واصفاها اليهم

« لقد قصدناكم ايها الامراء الكرام والافراد العظام ملتمسين من معاليكم وحسن مكارمكم الرحمة بنا والشفقة علينا فهلموا الى مساعدتنا واسرعوا الى معاضدتنا فقد عمّت في بلادنا القلاقل والاضطرابات . وانتشرت فيها الحروب والمقاومات . واوشكنا ان نقع في حفر الوبال . وبتنا عرضةً لانياب الاهوال . فتعالوا احكموا علينا ودبروا شؤُوننا فنخضع لكم ونعمل باوامركم وننقاد لاشارتكم »

فاتفق على المجيء مع الرسل ثلاثة اخوة وهم من نسل الامراء واتوا معهم وهذا حدث سنة ٨٦٢ ب . م ولما وصل هؤلاء الامراء الى بلاد الصقالبة اخذوا في سياستها وتدبير شؤُونها . فبنى اكبرهم (ريوريك) مدينة في سهل منبسط جميل سماها لادوكا وجعلها عاصمة البلاد وسكن الثاني (سينيوس) في مدينة بيلواوزيرو . اما الثالث (تروفور) فاختار مدينة

ايز بورسك

ومن ذلك الحين صارت ارض الصقالبة تدعى بلاد الروس نسبةً الى عائلة الامراء · وابتداءُ تاريخ المملكة الروسية يعتبر من ذلك الوقت اي من سنة ٨٦٢ ميلادية

وبعد سنتين مات الاميران سينيوس وتروفور . فاستلم ريوريك زمام الاحكام بلا معارض او مزاحم واختط مدينة نوفغورود لتكون عاصمة البلاد ومحل اقامته · ومنه تسلسلت الامراء والملوك الروسيون

وقد ارتاح الصقالبة نوعاً تحت سلطة الامير ريوريك وقلت الفتن والمقاومات فيما بينهم وانضمت قواهم · وصاروا يؤلفون امارة قوية تخشاها الجيران ولا تقوى على محاربتها وقهرها · بل كانوا يرجعون القهقرى بالفشل والخذلان

وفي زمان هذا الامير دخلت مدينة كيف في

حكم الروسيين كما ترى ذلك مفصلاً في الفصل الآتي

وفي سنة ٨٧٩ مات الامير ريوريك عن ولد صغير السن اسمه ايغور · فعهدت معاطاة الاحكام الى خاله اوليغ فقام بها اتم قيام حتى اعجب به رجال الامارة وتعلقت قلوبهم بمحبته ولقبوه بالقوي القاهر · والحكيم الظافر

الفصل الثالث

﴿ الاميران اسكولد ودير ﴾

كان من جملة حاشية الامير ريوريك قائدان عظيمان وهما اسكولد ودير . فهذان طلبا من ولي نعمتهما ان يأذن لهما بالسفر الى بلاد اليونان[١] فأذن

---

(١) هي مملكة صغيرة يحدها من الشمال بلاد الترك في اوروبا ومن بقية الجهات البحر المتوسط وعدد سكانها يبلغ الآن نحو مليونين وقصبتها مدينة اثينا التي لا تزال مشتملة على آثار تشهد على عظمتها القديمة و براعة اهلها وحذاقتهم لا سيما في فني النقش والتصوير . وهي مخترقة بجبال عديدة اما هواؤها فجيد واراضيها مخصبة واهلها موصوفون بالنباهة والذكاء والشجاعة . كانت هذه البلاد في القرون الغابرة مملكة عظيمة ذات صولة وقوة واتساع وقد بلغت الى اعلى درجات المجد والفخر ماديًا وادبيًا . وقد جرى في هذه البلاد حروب كثيرة نضرب عن ذكرها لضيق المقام . وفي سنة ١٧١٨ م استولى

لهما · وبينما كانا سائرين مع جنودهما في نهر دنيبر شاهدا على ضفتهِ مدينة ظريفة اعجبتهما فسألا عنها فقيل لهما انها مدينة كيف وهي في حوزة الخزر فدخلاها وادخلاها في طاعتهما وصارا من ذلك الحين اميرين عليها

وبعد ذلك بيسير زحفا على مدينة القسطنطينية[1]

الاتراك عليها وصارت حينئذٍ جزءًا من المملكة العثمانية · ثم نهضت بطلب الحرية سنة ١٨٢١ فاستقلت واقاموا عليها ملكاً اوثو ابن ملك بافاريا وذلك في اخر شهر آب سنة ١٨٣٢ ثم طردوه وملكوا عليهم الملك جرج ابن ملك الدانمرك ·وكانت هذه المملكة من عهد ٢٠٣٢ سنة ام العلوم والفلسفة والتمدن وكان سكانها يعبدون الاصنام ويبنون لها هيا كل عجيبة تذهل الناظرين وقد بقي منها شيء الى ايامنا هذه · اما الديانة العمومية الآن في تلك المملكة فهي المسيحية الارثوذكسية

(١) هي عاصمة المملكة العثمانية ذات المجد والسؤدد لا مثيل لها بين عواصم العالم من حيث المنعة وحسن الموقع · بناها الامبراطور قسطنطين الكبير على آثار مدينة بزنطية القديمة سنة ٣٣٠ م فنسبت اليه · فاقت في تلك الازمنة على

ومعهما ١٠٠٠٠ رجل و٢٠٠ مركب وشرعا في حصارها من جهة البحر . فاضطرب سكان المدينة

مدينة رومية التي كانت وقتئذٍ ام المدن بعظيم بنائها وكثرة شعبها وغناها واتساع تجارتها حتى انها بارتها وفاضلتها ايضاً بقدمية الآثار المشهورة . وفي سنة ٤١٣ حدث فيها زلزلة فدكتها وصيرتها قاعًا صفصفاً واستمرت حتى بناهـا الملك ثيوذوسيوس الثاني مرّةً اخرى . وفي سنة ٥٥٧ حدثت فيها زلزلة عظيمة فخربت ثانيةً بمدة الملك جوستنيان . ثم تتابعت فيها الزلازل وتواترت عليها الحروب ودهمات الملوك وكابدت اهوال الحصار مرارًا وقاست غزوات هائلة فحلّ بها الخراب مرارًا وشملها النهب والسلب المرة بعد الاخرى . وفي سنة ١٢٠٤ استولى عليها الصليبيون وبقيت في ايديهم الى سنة ١٢٦١ حينما اتى الملك ميخائيل باليولوغوس واستخلصها من ايدي اللاتين واعاد اليها تخت السلطنة الشرقية كما كانت في سالف الازمنة . وفي سنة ١٤٥٣ زحف على القسطنطينية المغفور له السلطان محمد الثاني الفاتح في زمن ملكها قسطنطين الثالث عشر وهو آخر قياصرتها . فحاصرها برًّا وبحرًا الى ان افتتحها قوةً وقهرًا في اليوم التاسع والعشرين من شهر ايار سنة ١٤٥٣م وصارت من ذلك اليوم مقرّ السلطنة العثمانية العظمى

وارتعبوا وايقنوا بزوال النعمة وحلول النقمة واوجس وقتئذٍ الامبراطور ميخائيل الثالث[١] خوفاً عظيماً وبعد المذاكرة مع البطريرك فوتيوس[٢] عزما على الالتجاء اليه

---

(١) هو احد قياصرة السلطنة الشرقية تبوأ سرير الملك سنة ٨٤٢. وكان صغير السن . فكانت امه ثيودورا تحكم عنه بالنيابة . وكان لها اخ يدعى برداس كان قد اقيم وصياً على الولد في حياة ابيه . فاخذه الطمع في تاج الملك ووجه افكاره الى الحصول عليه . فطفق يستعمل الوسائط اللازمة لنوال المرغوب واذ نجح في مقاصده طرد ثيودورا من القصر الملكي غير مبالٍ بالمعروف الذي كان قد ناله من يدها وتصرف بالملك مدة ٢٤ سنة . ولكن لما بلغ ميخائيل سن الكمال نفر من برداس لاختلاسه الملك وعمل على قتله بواسطة تابعه باسيل واستبد بالاحكام الى سنة ٨٦٧. وكانت الحروب يومئذٍ متصلة بينه وبين المسلمين في خلافة المتوكل بالله واخيراً مات قتلاً من يد باسيل المعروف بالمكدوني

(٢) هو المثلث الغبطة والشريف الاسم ابو الكنيسة العظيم ومعلمها المعادل الرسل. كان على عهد القياصرة ميخائيل (المار ذكرهُ) وباسيليوس المكدوني (المشار اليه) ولاون ابنه

تعالى بالصوم والصلاة فاخذ البطريرك فوتيوس ثوب

وُلد في القسطنطينية في اوائل القرن التاسع من ابوين امتازا بالشرف والمجد . فكان ابوه (واسمه سرجيوس) سيافًا عند القيصر (والسياف هو واحدٌ من رجال الحرس الملكي) اما امه فكانت شقيقةً لعديل القيصر ثاوفيليوس ابي ميخائيل . وكان والداه تقيين ومن المنتصرين للراي الارثوذكسي . وبسبب استقامة رأيهما استشهدا في ايام حروب الايقونات وفوتيوس حديث السن . فاخذ مبادي العلم في القسطنطينية ولما ترعرع اكبَّ على المطالعة واستكشاف خفايا العلوم ودرس كل معنى وجمع كل شاردة حتى اصبح خطيبًا مصقعًا ومؤَلفًا ماهرًا وعالمًا نحريرًا وكاتبًا مجيدًا وقد تعلم كل علوم عصره والاعصر السالفة وفاق فيها على كل عالم غيره . وكان مع هذا كله ذا صورة جميلةٍ وقامةٍ مهيبة وخلقٍ لطيفٍ ومزايا وديعة وبشاشة رقيقةٍ وبالاجمال فقد كان هذا الجهبذ العلمَ حاويًا جميع الاوصاف الخارجية التي تجذب الناس وتصيدهم بنعمةٍ لا توصف . ونظرًا لمؤَلفاته البديعة اعتبره العلماء ابًا لعلوم عصره ونبراسًا لها . ونظرًا لاهليته لكل خدمة استخدمته الدولة حتى وصل الى رتب عظيمة في مصف الوزراء وصار رئيسًا لرجال المعية الامبراطورية وباشكاتب المملكة واول كاتم اسرارها ومستشارًا

والدة الاله (المحفوظ الى ذلك الوقت في القسطنطينية

واول عضو في المجلس الامبراطوري الاعلى · وانتدب سنيراً من طرف المملكة الى بلاد الشرق فنجح نجاحاً تاماً في سفارته · وفي سنة ٨٥٧ استعفى البطريرك القسطنطيني اغناتيوس فانتخب رؤساء الكهنة ورجال الحكومة والشعب فوتيوس كاتم اسرار المملكة وقتئذٍ المشهور بالدراية والحكمة والفضيلة والتقوى والوداعة والعفة · وبما انه كان عامياً سيم في اليوم الاول متوحداً وفي الثاني اناغنوسطاً وفي الثالث ايبوذياكوناً وفي الرابع شماساً وفي الخامس قساً · وبعد شرطونيته قساً جرت الجلسة الرسمية لانتخابه · فشرطن اسقفاً وبطريركاً في ٢٥ كانون الاول من السنة المذكورة (٨٥٧م) · وفي سنة ٨٦٧ عزل البطريرك فوتيوس لاسباب يطول شرحها وفي سنة ٨٧٨ رجع الى كرسيه · ولقد يطول بنا الشرح اذا تحرينا وصف اي جهادات كابدها هذا المثلث السعادة من اجل الايمان المستقيم الرأي بازاء محاربي الايقونات وغيرهم من المبتدعين واي مؤامرات واضطهادات احتمل من قبل اعوان اللاتين وكذا الشدائد والاضرار · وبعد ما رعى كنيسة المسيح بالبر حسب التعليم الانجيلي واستأصل منها بغيرته الحارّة زوان كل تعليم غريب انتقل الى الرب في دير الارمونيين الى حيث كان قد

في كنيسة ابلاشرنا) وطاف به المدينة يتقدمه الاكليروس والشعب بالصلبان والايقونات والمراوح والمباخر والتراتيل الروحية · ولما وصلوا الى الخليج المعروف بالقرن الذهبي [١] غطّس فوتيوس ثوب السيدة في ماء البحر وللحال هبت ريح عاصفة فاضطرب البحر وهاجت الامواج فاغرقت في مدة قليلة الوفاً من زوارق الروسيين وسفنهم · فهلك اكثر الروسيين ورجع الباقون مع الاميرين اسكولد ودير الى كيف · فلما علم هذان الاميران انهما غُلبا وتقهقرا بمساعدة اله المسيحيين لسكان المدينة خافا غضبهُ وانتقامهُ وآمنا به وارسلا

نفي في اواخر سنة ٨٨٦ بعد ان ساس الكنيسة اول مرة تسع سنين وثاني مرة ثماني · وكانت وفاته في ٦ شباط سنة ٨٩١ ·

(١) هو خليج يفصل القسطنطينية عن غلطة احد ارباضها وهذا الخليج يعد من اجمل وآمن مرافىء الدنيا · وكانوا يدعونه المرفأ الداخلي مقابلة للمرفإ الخارجي وهو عبارة عن زاوية المدينة من الشرق متوغلة في بحر مرمرا

الى بطريرك القسطنطينية اغناتيوس[1] يطلبان منه

---

(١) هو المثلث الغبطة والمتعبد لله والغيور على استقامة الرأي · ارتقى السدة البطريركية المسكونية بعد انتقال البطريرك مثوذيوس سنة ٨٤٧ · وكان شيخاً بسيط القلب تليق به العيشة النسكية اكثر مما تساعده خبرته على ادارة كرسي البطريركية · ولكن اذ كان اغناتيوس يوبخ برداس خال القيصر ميخائيل على تخليته زوجته وارتكابه الفحشاء مع كنته طارداً اياه خارج الكنيسة طرداً رسمياً امام الشعب كله ومانعاً اياهُ عن الدخول الى البيعة حنق عليه برداس ونزّله عن الكرسي بمساعدة القيصر ميخائيل واجلس مكانه فوتيوس كما تقدم وذلك سنة ٨٥٧ · وفي زمان الامبراطور باسيليوس المكدوني الذي كان يمقت البطريرك فوتيوس (المتقدم ذكره) لاسباب لا يحتملها المقام عاد البطريرك اغناتوس الى الكرسي في ١٣ تشرين الثاني سنة ٨٦٧ · و بعد بضعة اعوام مرض اغناتيوس وهو شيخ مملوء من الايام · فاشعر بقرب نهاية اجله · فدعا فوتيوس اليه وكان يتعزّى بمشاهدته وكان فوتيوس يزوره كل ما سنحت له الفرصة و يعتني به و يسليه بالكلام و يؤكد له محبته بالعمل · حتى ان اغناتيوس حين وفاته اقامه وصياً على اخصائه · وكان انتقال البطريرك اغناتيوس في ٢٣ تشرين

المعمودية وقبولهما في عداد اعضاء الكنيسة · فاستجاب لهما البطريرك وارسل الى كيف احد الاساقفة لانذار الشعب وتعليمه وارشاده · فدعا الاميران سكان المدينة لقبول التعليم الجديد والاعتماد الاَّ انهما لم يصادفا اذعاناً وقبولاً لان سكان المدينة كانوا متمسكين بعبادتهم واوثانهم اشد التمسك ولا يريدون تركها

اما الاسقف (المرسل) فاخذ يطوف شوارع المدينة وساحاتها كارزاً ومنذراً ولكنه كان كالنافخ في رماد

وفي احد الايام سأله بعضهم عن فحوى تعليمه وكرازته · ففتح الانجيل المقدس باللغة السلافية[1] واخذ يقرأ لهم عن المخلص وعجائبه وحياته على الارض

الاول سنة ٨٧٨· والكنيسة تعيد له مكرمةً فضيلته · فارتقى بعده كرسي البطريركية فوتيوس كما سبقت الاشارة

(١) نشأت حروف الهجاء السلافية سنة ٨٥٥ م اما تاريخ استنباطها وانتشارها واستعمالها فسيأتي في فصل آخر

وكرازته وتعليمه والآمه على الصليب وموته وقيامته وصعوده الى السماء ومجيئه الثاني الى الارض للدينونة · واورد لهم شفاهياً بعض عجائب الله في العهد القديم · وفي جملة ما قصه لهم خبر طرح الفتيان الثلاثة في اتون النار على عهد الملك نبوخذنصر[1] · فطلب الحضور ان

(١) هو اشهر ملوك بابل · تبوأ سرير الملك سنة ٦٠٥ ق · م وكان ملكاً عظيماً ذا قوة وشوكة وثروة جسيمة · ولم يكن دأبه الاّ توسيع مملكته بالفتوحات والانتصارات وقد بلغ من درجة المجد والفخار مبلغاً عظيماً · — وفي السنة الثالثة من ملك يوياقيم او يهوياكيم ملك يهوذا اتى نبوخذنصر الى اورشليم وحاصرها ثم افتتحها وسبى جانباً من الشعب · وهذا هو السبي الاول · — ثم بعد ذلك بثمان سنين زحف ثانيةً في ايام يهوياكين بن يهوياكيم المذكور واسره وسبي فريقاً من الشعب ونهب هيكل اورشليم وكل ما فيه من التحف النفيسة والاواني الثمينة · وهذا هو السبي الثاني · — ثم بعد ذلك بعشر سنين زحف نبوخذنصر ثالثةً في ايام الملك صدقيا وحاصر اورشليم وافتتحها واسر ملكها الى بابل بعد ان اذله وقلع عينيه واحرق المدينة والهيكل بالنار وسبى كل شعب يهوذا ما عدا المساكين والفقراء ·

وهذا هو السبي الثالث والاخير · وهكذا انقرض مجد المملكة اليهودية سنة ٥٨٨ ق ·م · وكانت مدتها ٣٨٧ سنة بعد انفصال مملكة اسرائيل عنها · وكان نبوخذنصر قد افتتح مدينة صور بعد حصار ثلاث عشرة سنة ثم سار الى مصر واستولى عليها واخذ منها غنائم وافرة استخدمها في تحسين بابل وضرب على اهاليها خراجاً معلوماً يدفعونه كل سنة ووضع عليها النواب والعمال · — ولما رأى ذاته مكللاً بنجاح لا مزيد عليه اعتزَّ بشوكته وعظمته فبغى وتجبر وطغى وتكبر ونظم نفسه في سلك الالهة وطلب من الشعب ان يعبدوه ويسجدوا لتمثاله الذهبي الذي اقامه لنفسه · فضربه الله بالجنون فكان يظن انه تحول الى صورة بقرة · فخرج الى البرية واقام بين الآجام والغابات مدة سبع سنين وتولت مكانه زوجته الملكة نيتوكريس · وعند نهاية تلك المدة تاب ورجع الى الله فحكم سنة واحدة ثم توفي سنة ٥٦٢ ق ·م

اما الفتيان الثلاثة المشار اليهم فهم حننيا (اوشدرك) وميشائيل (اوميشك) وعزريا (او عبد نجو) كانوا قد سبوا مع من سبي من اليهود · فلما نصب الملك نبوخذنصر تمثاله الذهبي كما اشرنا وامر بالسجود له وكل من لا يسجد له يلقى في وسط

« القِ هذا الكتاب (الانجيل) في النار وان لم يحترق

اتون نارٍ متقدة اخذ الناس يتقاطرون للسجود له · اما الفتيان الثلاثة المذكورون فأَبوا ذلك فوشي بهم الى الملك · حينئذٍ امر نبوخذنصر ان يؤْتى بشدرك وميشك وعبد نجو فأُتي بهم فسأَلهم الملك عن سبب تمنعهم فاجابوا : « لا ينبغي لنا ان نجيبك على هذا الامر والهنا الذي نعبده هو قادرٌ على انقاذنا من اتون النار وهبه لا ينقذنا فليكن معلوماً لك ايها الملك أَنا لن نعبد الهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذي نصبته » فامتلأَ الملك حنقاً وتغير منظر وجهه على هولاء الفتيان وامر ان يحمى اتون النار سبعة اضعاف عما كان يؤْلف من احمائه · وامر رجالاً جبابرة بأْس من جيشه ان يوثقوهم ويلقوهم في اتون النار المتقدة · فاوثقوا والقوا في وسط الاتون · وكان لهيب النار قد ارتفع فوق الاتون تسعاً واربعين ذراعاً وانتشر واحرق من كان حول الاتون من الوثنيين اما الفتيان الثلاثة فلم تمسهم النار البتة ولم تسوُءْهم ولم تزعجهم لان ملاك الرب نزل الى داخل الاتون وطرد لهيب النار عنه وجعل وسط الاتون ريحاً ذات ندىً تهب · حينئذٍ اخذ الثلاثة يسبحون الله ويمجدونه ويباركونه · فاندهش نبوخذ نصر لما راى اربعة رجال مطلقين يتمشون في وسط النار · فاقترب من باب

نقبل ارشادك وتعليمك» حينئذٍ رفع الاسقف نظره الى العلاء وهتف «ايها الرب يسوع المسيح الهنا مجد اسمك امام هذا الشعب» والقى الانجيل في نارٍ تضطرم · فمضى على ذلك بضع ساعات واحترق الوقود ولم تؤثر النار في الانجيل شيئاً · فلما رأى الوثنيون ذلك تعجبوا وآمن فريق منهم واعتمدوا · اما اسكولد ودير فاعتنقا المذهب الارثوذكسي بكل احتفال ودُعي اسكولد في المعمودية نقولا · وبعدئذٍ صار هذان الاميران يعيشان عيشة مسيحية مستقيمة · (وستأتي تتمة تاريخهما في الفصل الآتي)

ولكنه لم يمض بعد هذا مئة سنة الا وكادت الديانة المسيحية تتلاشى في مدينة كيف (فضلاً عن انها لم تمتد الى باقي البلاد الروسيــة) لو لم تقم اميرة

الاتون وناداهم فخرج الثلاثة من وسط النار ولم تكن لها قوة على اجسامهم فاندهش الجميع وعظموا اله اليهود

الروس اولغا وتتنصر كما ستعلم ذلك في محله

وفي ايام الاميرين اسكولد وديرٍ مات الامير ريوريك وتولى مكانه الامير اوليغ كما سبقت الاشارة في آخر الفصل الثاني

الفصل الرابع

﴿ الامير اوليغ ﴾

﴿ تولى سنة ٨٧٩ وتوفي سنة ٩١٢ ﴾

خُلقتُ للحرب احميها اذا بردت
واصطلي نارها في شدَّةِ اللهبِ

لما استتب الحكم للامير اوليغ وقبض على ازمة الادارة جمع عسكرًا وذهب به لغزو القبائل المجاورة فحاربها واخضعها وادخلها في طاعتهِ . ثم حمل على القبائل المنتشرة على ضفاف نهر دنيبر فدانت له . ولما اقترب من مدينة كيف سأل عن حكامها فقيل له انها في قبضة القائدين اسكولد ودير . فارسل اوليغ يقول لهما متهكماً « ان التجار الروسيين القاصدين بلاد اليونان للتجارة يرومون مقابلتهما على شاطئ النهر » وفي هذه

البرهة امر معظم جنوده ان يكمنوا في السفن وينتظروا اشارته . فانطلت هذه الحيلة على اسكولد ودير واتيا . ولما اقتربا من الشاطئ صرخ فيهما اوليغ : « كيف يصح لكما ايها الرجلان ان تتسلطا على هذه المدينة الواسعة الرقعة الطيبة البقعة بدون رخصة من اميركما وسيدكما . فهذا هو الامير (واشار بيده الى ايغور بن ريوريك) وانا وكيله » وفي الحال خرجت الجنود الكامنة في السفن وانقضت عليهما كالنسور ومزقتهما اربًا اربًا

وبعد ذلك دخل اوليغ مدينة كيف واستولى على عرش اسكولد ودير وجعلها عاصمة بلاده ودعاها «ام مدن روسيا» ومن ذلك الحين أُعتبرت كيف عاصمة البلاد

وعقد اوليغ نيتهُ على الحروب والفتوحات فاضاف الى جيشهِ كثيرًا من الابطال ودار به شرقًا

فغرباً فشمالاً فجنوباً وقهر القبائل العاصية وادخلها في طاعته فانقادوا له صاغرين . ولما رأَى هذا البطل ان النصر رفيقه والظفر حليفه اخذ جيشه وحمل على بلاد اليونان ولسان حالهِ يقول

ولا تذكروا لي طيب عيشٍ فانما
بلوغ الاماني صحتي وسقامي
وفي الغزو التى ارغد العيش لذةً
وفي المجد لا في مشرب وطعامِ

ولما علم اليونانيون بهذا اضطربت افئدتهم وخارت قواهم وحل الرعب في احيائهم. وللحال امرت حكومتهم بسد الطريق (من جهة البحر) المؤَدي الى بوغاز القسطنطينية بالسلاسل الحديدية الضخمة المعدة لمثل تلك الاحوال . امـا الامير اوليغ فلما شاهد مـا تحصن به سكان المدينة اخرج مراكبه الى الشاطيء وامر بوضعها على دواليب متينة. فلما هب الريح المناسب

لجهة البوغاز الموما اليه تدحرجت المراكب وعددها ٢٠٠٠ الى البوغاز وانتصبت تحت اسوار المدينــة. فحصل اضطراب عظيم وخوف شديد في القسطنطينية فاجتمع اعيانها وعظماؤها وقرروا ان يفتدوا ارواحهم بالجزية · ولهذا خرجوا الى الاعداء وقدموا لاميرهم هدايا فاخرة من الاقمشة الثمينة والنبيذ المعتق مع كثيرٍ من الذهب والفضة · فقبل الامير الروسي هذه الهدايا وركز رمحه على اسوار القسطنطينية علامة الغلبة ورجع مع جيوشه الى الاوطان

وقد استبشر الروسيون بالنصر الدائم على يد اميرهم المقدام واعتزت نفوسهم واشتدت عزائمهم وخيل لهم انهم ابطال الزمان وان الاعداء لا تطيق حرقتالهم وقد ملك اوليغ بمضاء عزيمته ونفاذه في الامور ناصية المجد والسعادة ونال الفوز والظفر فاحبه الروسيون ولقبوه بالقوي القاهر · وفارس الحروب الظافر · و بطل

الفتوحات · وسيد الغزوات

لعمرك ان المجد والفخر والعلى

ونيل الاماني وارتفاع المراتبِ

لمن يلتقي ابطالها وسراتها

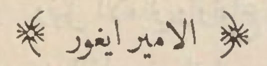
بقلبٍ صبورٍ عند وقع المضاربِ

ويبني بحد السيف مجداً مشيداً

على فلك العلياء فوق الكواكبِ

ولما عاد اوليغ الى كيف اخذ ينظم جيشه ويضيف اليه الرجال والابطال استعداداً للفتوحات الجديدة · الاَّ ان المنية حالت دون ذلك · فتوفي سنة ٩١٢ واستلم ازمة الاحكام بعدهُ الامير ايغور بن ريوريك

الفصل الخامس



الامير ايغور

تولى سنة ٩١٢ ومات سنة ٩٤٥

كان هذا الامير على غاية من الخفة والغفلة ضعيف الراي قليل التدبير سريع الغضب كثير التقلب لا يثبت على راي فكان تارةً حليماً واخرى قاسياً جافياً · ولم يشتهر بشيء · وقد زحف مرات كثيرة على بلاد اليونان فلم ينجح بل كان يرجع القهقرى · ولهذا نفرت منه الجنود ومقته الشعب وتعصبت عليه القبائل وجاهر بعضها بالعصيان · فالتزم ان ينهض لمحاربة العصاة الاَّ انه لم ينجح · وهاك مـا جرى له مع احدى هذه القبائل العاصية وهي قبيلة الدريفليانه المتقدم ذكرها في الفصل الاول

اخذ مرة الامير ايغور جانباً من جيشه وذهب بهم لجمع الجزية من الدريقليانيين ولما فاز بها رجع الى كيف . ولكنه وجد ان الجزية التي جمعها قليلة فعاد اليهم . فلما رآه الدريقليانيون عائداً سألوه عن قصده ومراده . فامرهم بجمع الجزية ثانيةً . فاستشاطوا منهُ غيظاً وسنوا رماحهم وهجموا عليه وتمكنوا منه واسروه ثم داروا في جيشه قتلاً وذبحاً بلا رحمة ولا شفقة . فقتل معظمهم وولى الباقون الادبار من وجه قبيلة الدريقليانه طالبين النجاة

اما الامير فقاده الدريقليانيون ذليلاً صاغراً الى شجرتين كبيرتين قريبتين من بعضهما وهنا جرَّدوا عنه ما عليه من المثمنات واما لوا ثمت اغصان الشجرتين الى الارض وربطوه بها ربطاً محكماً ثم افلتوا الاغصان فعادت الى ما كانت عليه اولاً فتمزق الامير ارباً وكان ذلك آخر العهد به

فلما اتصل خبر هذه الموقعة بسكان كيف استشاطوا غيظاً وحلفوا ان ينزلوا بقبيلة الدر يفليانه عقاباً شديداً. الاَّ انهم فرحوا في الوقت نفسه بموت ايغور الضعيف. وللحال ولوا عليهم زوجته الاميرة اولغا لان ابنهُ سفياتوسلاف كان صغير السن وعمره دون الاربع سنوات

الفصل السادس

﴿ الاميرة اولغا ﴾

﴿ تولت سنة ٩٤٥ واستقالت سنة ٩٥٧ وتوفيت سنة ٩٦٨ ﴾

وُلدت الاميرة اولغا في قرية ڤيبوطي قرب مدينة بسكوف من عائلة فقيرة وكان اسمها بريكراسا. فنشأت جميلة فتانة اديبة عاقلة واشتهرت بحسنها وجمالها في تلك النواحي وذاع صيتها حتى وصل الى الامير ايغور فذهب الى تلك القرية قصد الصيد والقنص . فرأى تلك الفتاة فانفرد بها واخذ يخاطبها ويمازحها وهي تجيبه عن كل شيءٍ بلسان فصيحٍ وعبارة ساحرة . فعلق بها ايغور واصطفاها حليلةً سنة ٩٠٣ وسماها اولغا . ولما قتل سنة ٩٤٥ تبوأَت مكانه

فلما استلمت الاميرة اولغا مقاليد الاحكام وانيطت بها مهام الامارة اخذت تسعى اولاً في قهر الدريفليانيين الذين قتلوا زوجها كما تقدم وصفه . وكان الاخذ بالثار يُعد في ذلك الزمان فرضاً مقدساً وامراً واجباً

اما الدريفليانيون فلما بلغهم ذلك خافوا عاقبة الامر وايقنوا بالهلاك العاجل لعلمهم بضعفهم وعدم قدرتهم على الوقوف امام الاميرة ورجالها الابطال . فاجتمع كبراؤهم واعيانهم في مدينتهم العظمى كورستين واخذوا يتداولون في ما يجب عليهم ان يعملوا مرضاة للاميرة وكفارة عن ذنبهم . واخيراً قرروا ان يرسلوا اليها وفداً مؤلفاً من شيوخهم وكبارهم ليستعطفوا خاطرها ويصلحوا ذات البين ويسألوها الاقتران باميرهم مال

فلما وصلوا الى مدينة كيف دخلوا على الاميرة وخاطبوها قائلين

« ايتها الاميرة الحكيمة والسيدة الكريمة . تعلمين

اننا نحن معاشر الدريڤليانيين قد قتلنا زوجك · ولكن الكريم من عذر · لانه جاءَ علينا برجاله واستنزف اموالنا ولم يكتفِ بذلك · بل اعاد على امتنا الكرة وضرب علينا جزية ثانية ثقيلة لم يكن في امكاننا ايفاؤُها فاستثقلنا هذه المعاملة واستسهلنا شق عصا الطاعة وفعلنا ما فعلنا · هذا وبما انه قد مضى ما مضى فنسأَلك الاغضاء على ما فات ونعتذر عما حصل ونطرح لديكِ مسأَلةً هي عندنا من الاهمية بمقام عظيم · وهي الاقتران باميرنا مال وبهذا ترجع المياه الى مجاريها ونكون اعوانًا في السرّاءِ والضرّاء»

اما الاميرة اولغا فجوابًا على هذا الكلام امرت بقتلهم وطرحهم في بعض الحفر وارسلت تقول للدريڤليانيين

« لقد سرَّني طلبكم واعجبني ما عوَّلتم عليه · فانا شديدة الرغبة في الاقتران باميركم الشاب وها انا

اتأهب لذلك . انما ارجوكم ان ترسلوا اليَّ اشهر رجالكم واكبر شيوخكم حتى تكون حفلة الخروج من كيف حافلة وحتى تشاهد رجالي رجالكم ويتفاوض المتقدمون من الفريقين في اعداد الحفلات لذلك . اما رسلكم الاولون فهم في ارغد عيش واحسن حال ورجالي يبالغون في اكرام وفادتهم واحترامهم وهم ينتظرون معنا مجيء الوفد الثاني فاسرعوا في تتميم طلبي وعليكم وعلى اميركم السلام »

فوقع هذا الكلام عند الدريفليانيين موقع القبول والاستحسان وشرعوا في انتقاء مشاهير رجالهم ولم يتمكنوا من معرفة ما حدث لرسلهم الاولين وقد انطلت عليهم الحيلة . وبعد يومين ارسلوا للاميرة كل شيوخهم واكابرهم الذين كانوا يعتمدون عليهم في سياسة احوالهم وتدبير شؤونهم . فلما وصلوا الى كيف سيقوا بامر الاميرة الى الحمام حيث سدوا عليهم الابواب وابقوهم هناك

الى ان ماتوا عن آخرهم

وبعد ذلك ارسلت الاميرة تقول لقبيلة الدريقليانه «ها انا آتية اليكم . فاستعدوا لملاقاتي واطبخوا كثيراً من العسل لاني اريد ان اقيم مأتماً عظيماً على قبر زوجي واعد وليمة فاخرة تمهيداً للعرس ومن ثم اقترن باميركم واكون معكم يداً واحدة»

فطار الدريقليانيون جذلاً واستبشروا برضاة الاميرة واخذوا يستعدون لملاقاتها . اما اولغا فاخذت رجالها وسارت بهم قاصدة قبيلة الدريقليانه . فاستقبلها اولئك استقبالاً شائقاً وجعلوا يقدمون لها كثيراً من الهدايا الثمينة ويتواردون عليها زرافات زرافات حتى اجتمع حولها اكثر من ستة الآف رجل وهم يصيحون باصوات الفرح ويدعون للاميرة بالسعادة وطول العمر وزيادة المجد والفخر . ثم اقبل شيوخ الدريقليانيين وقدموا للاميرة تقدماتهم وهم جاثون على الركب .

وحينذاك سألها المقدمون بينهم : « اين رسلنا ورجالنا الذين ارسلناهم اليكِ ؟ » فاجابتهم الاميرة بثغرٍ باسم ووجهٍ طلق صبوح وقد اخفت ما بها : « انهم عما قايل يصلون مع بقية الجيوش بكل تجلة واكرام » . فانطلت عليهم تلك الحيلة ولم يفكروا سوءًا الا انهم سُحروا بملاطفة الاميرة

وبعد ذلك اخذوا يطربون ويسرون ويرقصون ويشربون من ذلك العسل المطبوخ حتى اصبحوا سكارى واولغا تلاطفهم بوجه بشوش وتحادثهم بكلام يسبي القلوب بعذوبته ورقته ولم يعلموا انها نصبت لهم حبائل كثيرة لاقتناصهم وابادتهم مطالبة اياهم بدم زوجها. فانها كانت قد اتفقت مع جنودها على علامة متى اظهرتها لهم يهجمون على الدريفليانيين ويفتكون بهم فلما التهى هولاء بالملاعب ، وملذات المآكل والمشارب . واصبحوا سكارى يتمايلون من جانب الى

جانب · وقد اعجبهم لطف الاميرة وخفة حركات قومها في الرقص واللعب والمصارعة والسباق اظهرت اولغا تلك الاشارة الى جنودها · فسلوا حرابهم وسلاحهم وهجموا على الدريفليانيين هجمة الاسود ومزقوهم كل ممزَّق ولم يبقوا ولم يذروا · وتراكمت القتلى حول الاميرة حتى صارت كالربى وعددها نيف وخمسة آلاف

فلما بلغ طوائف الدريفليانيين هذا الخبر اضطربوا واستشاطوا غيظاً وانضم بعضهم الى بعض واستعدوا لمحاربة الروسية · فالتقتهم اولغا بجنودها وابطالها وتقاتل الفريقان قتالاً شديداً كانت الدائرة فيه على الدريفليانيين وكان ذلك النهار عليهم يوماً مهولاً قتل فيه جمٌ غفير منهم وتشتت الباقون في القفار طلباً للنجاة · ولم يقتل من جيش اولغا الاّ نفر قليل · اما سكان مدينة كورستين فاغلقوا ابوابها وتحصنوا فيها. فحاصرتهم اولغا مدة الصيف كله فلم تستطع فتحها · وقد اصبحت المدينة في ضنك

عظيم · فارسلت اولغا تنصحهم بالارعواء عن غيّهم والرجوع الى سواء السبيل والتسليم وتوعدتهم بحرب هائلة اذا لم ينتصحوا · فلم يذعنوا · واخيرًا ارسلت تقول لهم

« مالي اراكم مصرّين على العناد العلكم غير عالمين بان كل مدنكم في قبضة يدي وسكانها الان في راحة وطمأنينة · فلمَ هذا الاصرار · فالافضل ان تتشبهوا باخوانكم وترسلوا لي جزية · فان اصغيتم لمقالي اكتفيتكم مؤونة القتال والاّ فاني سافتح مدينتكم عنوةً واذيقكم مرّ العذاب »

فاجاب الدريفليانيون المتحصنون في المدينة :

« اننا قابلون كل ما تفرضينه علينا الاّ اننا نخاف انتقامك ومطالبتنا بدم زوجك · فالاوفق ان نموت جوعًا ضمن مدينتنا من ان نرمي بانفسنا في التهلكة بين ايدي رجالك »

فتعهدت اولغا لهم بانها لا تقتلهم وطلبت منهم ان يرسلوا لها من كل بيت ثلاثة عصافير وثلاث حمامات فقط برسم الجزية اشارة الى الخضوع

ففرح اهل المدينة وايقنوا بالفرج القريب ولكنهم احتقروا هذه الجزية ولم يعلموا ان وراءَ الاكمة ما وراءَها اما الاميرة فامرت رجالها ان يربطوا في اذناب الطيور مواداً ملتهبة ويطلقوها عند هجوم الظلام · وهكذا صار · فطارت الطيور كلٌّ الى عشه · وبعد برهةٍ صارت كورستين شعلةً من نار

فارتعب سكان المدينة وارتعدت فرائصهم واخذوا يهربون منها · فنجا القليلون من لهيب النار · ولكنهم هربوا من ويل فوقعوا في ويل اعظم لانهم صاروا طعاماً لاسلحة الروسيين وشربت الارض دماءَهم

على هذه الكيفية انتقمت الاميرة اولغا من قبيلة

الدريفليانه واخذت بثار زوجها ورجعت من ثم الى كيف منتصرة ظافرة· وصارت بعد ذلك تنظم احوال بلادها وتقيها من صدمات الاعداء وكانت تسافر من مكان الى آخر تجمع الجزية وتحارب القبائل العاصية وتنتصر عليها وتخضعها لسلطتها · وكانت حكيمة حليمة عادلة محبة للحق والوقوف على حقائق الامور صاحبة فطنة عالمة باميال الشعب · فكانت تسوسه بالحكمة والحزم والانصاف · وتستعمل كل واسطة وتستخدم كل وسيلة لتوطيد راحته وسعادته · وبحكمتها اذاعت اسم امة الروس حتى طبقت بذكرها الآفاق · وبحسن سياستها استلبت قلوب رعاياها وجمعت على ولائها افئدتهم · وابقت فيها ذكراً مجيداً واثراً حميداً يتضوع شذاها في الاقطار الروسية الى الآن · وقد كللت اعمالها وتوّجت افعالها بعمل عظيم وهو اعتناقها الدين المسيحي وكانت هي اول المتنصرين من جنس الامراء

الروسيين وهاك ما جرى لها لدى تنصرها

كانت الديانة المسيحية على عهد الاميرة اولغا قد انتعشت وجعل المسيحيون في كيف يعتزّون بمذهبهم ويجاهرون به بعد ان كانوا يتسترون خوفاً من الاضطهاد اما سبب هذا التظاهر والمجاهرة فكان ارتياح الاميرة اليهم واحترامها عبادتهم وانتصارها لهم · فانها كانت تنظر بعين المحبة والانعطاف الى هولاء المسيحيين وكانت تجالسهم وتحادثهم وتعتني بهم وتحسن اليهم · وكانت بالوقت نفسه تقابل بين ديانتهم وديانة الوثنيين فتجد بوناً عظيماً وكانت ترى منهم افعالاً شريفة دعتها الى المبالغة في اكرامهم ومحبتهم وقادتها الى اعتناق مذهبهم · فكان يؤثر فيها تاثيراً حسناً عدم جزعهم من الموت وعفافهم وضبطهم لانفسهم في التدبير وشدة حرصهم على العدل وغيره من الصفات الحسنة والاخلاق المرضية اخيراً عزمت على السفر الى مدينة

القسطنطينية لتتعرف اكثر بالديانة المسيحية وكان ابنها سفياتوسلاف قد بلغ اشده فقلدته مقاليد الامارة وسلمته زمامها وولته مكانها وغادرت كيف قاصدة عاصمة اليونان حينئذٍ فاستقبلها سكان المدينة بكل تبجيل واكرام وتعظيم واحترام وكان ذلك سنة ٩٥٧ وكان للاميرة اولغا من العمر اذ ذاك ٦٧ عاماً

فلما دخلت المدينة سُرَّت كثيراً بما شاهدته فيها من القصور الفخيمة والمباني الجميلة والمنازل البديعة والشوارع المتسعة والحدائق الغناء والزخارف المختلفة التي تسبي العقول وتبهر الابصار اما عن الكنائس والمعابد المسيحية التي كانت اذ ذاك في القسطنطينية فحدث عن عظمتها واتقانها ولا حرج

واستقامت اولغا في هذه المدينة العظيمة شهرين تعلمت في خلالهما ناموس الكنيسة الارثوذكسية وطقوسها وبعد ذلك عمدها البطريرك القسطنطيني (بولفكتوس)

في كنيسة اجيا صوفيا العجيبة البناء [١] وكان عرابًا لها

(١) قد رأينا تعميمًا للفائدة ان نذكر هنا فذلكة من تاريخ هذه الكنيسة العظيمة فنقول : من المعلوم ان الديانة المسيحية اخذت تنتشر وتمتد بسرعة عجيبة من اواخر الجيل الثالث ولا سيما في ايام الامبراطور قسطنطين الكبير الذي تنصر وجعل الديانة المسيحية تحت حمايته وامر بهدم الهياكل الوثنية وتشييد الكنائس والمجاهرة بالنصرانية على رؤُوس الاشهاد وهو الذي بنى مدينة القسطنطينية ونقل كرسي السلطنة اليها وزينها بكنائس جميلة وابنية فاخرة وبنى اسوارها واتمها على احسن حال . اما اجيا صوفيا فكانت الى ذلك الوقت هيكلاً للوثنيين فرممهُ قسطنطين الكبير وجعله كنيسة مسيحية سنة ٣٢٥ وسماها على اسم الحكمة الالهية . وهي اول كنيسة اقيمت فيها الاحتفالات الدينية المسيحية بعد الكهوف والمغائر ايام الاضطهادات . وبعد وفاة هذا الامبراطور العظيم سنة ٣٣٧ وسعها ابنه قسطنديوس وزينها . وفي سنة ٣٨٨ خرب الآريوسيون سقفها في ايام الامبراطور ثيودوسيوس الاعظم فبناهُ الاخير احسن مما كان وفي سنة ٤٠٤ احترقت وتجدد بناؤُها سنة ٤١٥ على عهد ثيودوسيوس الثاني الصغير . وفي سنة ٥٣٧ هدمها الامبراطور يوستنيانوس وشرع في بنائها

الامبراطور (قسطنطين بورفيروجنيتوس) وبعد انتهاء
حفلة العماد خاطبها البطريرك قائلاً : مباركة انتِ في

بكل اهتمام . فسلم امر بنائها الى مهندسين يونانيين (ارتاميوس
وايسيدوروس) وعين لكلٍ منهما مئة من رؤساء البنائين
ولكل واحد من هولاء مئة فاعل . وعند حفر الاساسات
استدعى البطريرك افتيشيوس بركات الله فوضع الامبراطور
الحجر الاول و بوشر في العمل . واستمر البناء ست عشرة سنة
وعند الانتهاء منه دخل الامبراطور يوستنيانوس المرة الاولى
اليه بكل احتفال وهتف بصوت جهوري : « المجد لله الذي
اهلني ان اقيم هذا الهيكل العظيم . لقد غلبتك يا سليمان » .
وخصص الامبراطور هذه الكنيسة باسم القديسة صوفيا وهي
ارملة كانت تدعى بهذا الاسم وكان لها ثلاث بنات عذارى
سمتهنّ باسماء الفضائل الثلث وهي الايمان والرجاء والمحبة
وقبلت معهنّ اكليل الشهادة في رومية في عهد ادريانوس
الملك . — وطول هذا البناء ٢٦٩ قدماً وعرضه ٢٤٣ قدماً
وقطر قبته ١١٥ قدماً وعلوه من الارض الى القبة ١٨٠ قدماً
وكان قائماً على ١٠٧ اعمدة منها ٨ من السماقي الاحمر السناتي
(نسبة الى سناتا وهي مدينة في اقليم لومبارديا) لا يوجد لها
تاسع على الارض على ما قيل ارسلتها ماركية امبراطورة رومية

النساء الروسيات لانكِ ابتعدتِ عن الظلمة وتمسكتِ بالنور فليباركك الشعب الروسي الى انتهاء الدهر

هدية الى هذه الكنيسة وقت بنائها تذكاراً لها . ومنها بعض اعمدة من الحجر الاخضر اللاقوني (نسبة الى لاقونة وهي مدينة في بلاد اليونانيين) اخرجها قسطنطين امير مدينة اباثلوغ من خرابات هيكل قديم في تلك المدينة وارسلها هدية الى القيصر يوستنيانوس . ومنها ٤ اعمدة من المرمر الابيض احدها من مدينة اثينا والثلاثة الباقية من جزائر البحر الابيض ومنها عدة اعمدة من سماقي تساليا (من مكدونية) . ومنها بعض اعمدة زرق وسود من ليبيا (اسم لاقليم في افريقية توجد الآن فيه مدينة طرابلس الغرب) . ومنها اعمدة جنوبية من بلاد مصر . ومنها ثمانيـة اعمدة كبار من السماقي الاخضر استخرجت من خرابات ايوان هيكل بعلبك . ومنها ثمانية اخرى ايضاً مثلها من هيكل اياثلوغ الذي مرّ ذكره . وكانت حيطان هذه الكنيسة العجيبة مرصعة بحجارة مرمرية موصوفة رصفاً محكماً تتوافق به تموجاتها مع بعضها . — اما قبتها المعادلة لقبة الفلك فكان محدبها من خارج مغطى بالنحاس . ومحيطها مزيناً بالفسيفساء الجميلة التي جعل فيها صوَر تشير الى بعض ما في التوراة والانجيل من الحوادث التاريخية . فطليت بعد

قيل ان الامبراطور اليوناني (عرّابها) لما كحلت عينيه بمرأى الاميرة وشاهد جمالها الباهر اندهش وسبي عقله وخلب لبه واصبح كلفاً بها راغباً في القرب منها

استيلاء محمد الثاني عليها (كما سيجيء) بدهان اصفر ذهبي ستراً لها لحرمة ذلك عند الاسلام . — وكانت مخرزات شبابيكها من الذهب وايقونسطاسها مسبوكاً من خليط الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد ومباخرها من الذهب وابوابها مغشاة بصفائح الذهب والفضة . — اما المائدة المقدسة داخل الهيكل فكانت مصنوعة من الذهب والفضة ومزينة باللؤلؤ والحجارة الكريمة وقائمة على اربعة عواميد ذهبية وكانت خيمتها من ذهب ومرتاحة على اربعة عواميد فضية . — اما الدائرة حول المائدة فكانت مغشاة بالذهب . — وكانت كراسي رجال الدين (وراء المائدة) مصنوعة من فضة ومغشاة بصفائح الذهب . — وكان خارج ابواب الكنيسة اربعة اسود من الحجر السماقي قطعة واحدة . — ومنذ تعميرها الى ان صيرها السلطان محمد الفاتح جامعاً كان قد تهدم منها بعض محلات في عدة تقلبات حصلت في القسطنطينية وكانت القياصرة تجدد ما انهدم منها وكل من جدد بها شيئاً من هذا القبيل رسم صورته في محل مناسب بالقرب منه . وقد شوهدت

والاقتران بها فاعلن لها عزمه فاجابته على الفور : هل يسمح لك ناموس الكنيسة ان تقترن بابنتك بالمعمودية فتعجب الملك اسمو مداركها وغزارة فهمها ورجع عن عزمه مغلوباً

صورة القيصر يوستنيانوس باني هذه الكنيسة مرسومة على الباب المدعو باب السكري وبيده صورة هذه الكنيسة يقدمها الى السيد المسيح . وكذلك صورة القيصر يوحنا الباليوغوس الذي كان معاصراً للسلطان ارخان . ثم لما استولى الافرنج الصليبيون علي القسطنطينية سلبوا ما كان في كنيسة اجيا صوفيا من اثمن الحلى واقدم الآثار وارسلوها الى مدينة البندقية ... وفي سنة ١٤٥٣ زحف السلطان محمد الثاني (وهو سابع سلاطين آل عثمان) على مدينة القسطنطينية فوصلها في ٦ نيسان من تلك السنة وحاصرها من جهتي البر والبحر وبقي الحصار ٥٣ يوماً . وكان العثمانيون محيطين بالمدينة من كل جهاتها الاَّ المينا فانه كان مقفلاً بسلسلة هائلة من الحديد لم يستطع العثمانيون اجتيازها . فعوَّل السلطان ان ينقل السفن الحربية من البوسفور الى المينا مجرورة على اليابسة . وكان بينه وبينهم مسافة ساعة من الزمن . ففرشوا تلك المسافة

وبعد ان تممت الاميرة اولغا هذا العمل العظيم رجعت الى بلادها محفوفة بالتجلة والاكرام ولما وصلت كيف قوبلت بالاحتفال الشائق وقد حنت للقائها القلوب وحامت حولها الآمال

بالواح من خشب مطلية بشحم البقر والغنم حتى يتيسر للمراكب ان تزلق عليها بلا عناء . ثم جرّوا السفن عليها حتى دخلوا بها الينا ليلاً . فاصبح اهل المدينة واذا بسفن العثمانيين في مرفئهم فوقع الرعب في قلوبهم وتشاءموا بالخراب وداخلهم القنوط لان اسوار المدينة من جهة البحر لم تكن حصينة ولم يكن عندهم عساكر كافية للدفاع والكفاح . — وفي ٢٩ ايار سنة ١٤٥٣ م هجم العثمانيون على المدينة الهجمة الاخيرة ودخلوها عنوةً بعد قتال شديد . — وفي منتصف ذلك اليوم دخل السلطان محمد الثاني مدينة القسطنطينية باحتفال عظيم مع وزرائه واكابر دولته . فمر بموكبه بجانب كنيسة اجيا صوفيا فاعجبه اتقانها وزخرفها واخذه الانذهال لدى تامله عظمة وبهاء تلك الكنيسة التي لم يكن اظرف ولا اجمل منها في العالم كله . فنزل عن جواده ودخلها متفقداً بالتفاصيل كلاً من هياكلها وزخارفها وقبتها . ولما دخل قدس الاقداس وقعت عينه على

ولما استقرت الاميرة اولغا في وطنها اخذت تحسن في عيني ابنها الديانة المسيحية وتمدحها امامه وترشده الى اعتناقها ولكن خاب املها لانها لم تصادف اذناً صاغية لمقالها

وقضت بعد ذلك هذه الاميرة الجليلة باقي ايامها بالهدو والسكينة وكانت تعتني بالمسيحيين وترحم البائسين وتغيث المساكين وتتصدق على الفقراء

احد جنوده يقتلع قطعةً نفيسة من رخام ثمين فهرع اليه وضربه بسوطه وزجره بعنف . ثم امر اماماً فصعد المنبر وشرع يتلو الصلوات حسب السنة الاسلامية . ويزيد المؤرخون ان السلطان ضحى كبشاً على المذبح الاكبر ونصب عرشه فوقه وجلس حين الصلاة . ويقول المؤرخ التركي خوجه افندي انه منذ ذاك اليوم صعد المؤذن الى القبة العالية وأَذَّن داعياً المسلمين الى الصلاة . — ولما جعل السلطان محمد الفاتح اجيا صوفيا جامعاً لم يوقع بها تغييرًا الاَّ ما كان مغايرًا لاصول الدين الاسلامي فامر باخفاء ما على جدرانها من النقوش الذهبية والايقونات الثمينة بالكلس . على ان هيئتها الخارجية

وترثي لحال الضعفاء وبقيت ناهجة هذا المنهج الى ان توفاها الله سنة ٩٦٨ وكان عمرها ٧٩ سنة ودفنت حسب الطقس الارثوذكسي في كيف في كنيسة القديس نقولاوس (١) فادرج اسمها في سجل القديسات

قد تبدلت قليلاً بالعضائد التي بناها السلطان مراد الثالث لعضد الجدار الذي كان قد مال الى السقوط من قوة الزلزلة وبانشاء حمامات ومدارس ومدافن حولها واقامة ٤ مآذن فوقها . — وقد حفظ من جملة نقوش هذه الكنيسة العظيمة اجنحة اربعة من الكاروبيم مصوَّرة على جوانب القبة الاربعة الا ان رؤُوسها موشحة بشكل نجم كبير مذهب وقد كتب على جوانبها باحرف ذهبية عربية كبيرة اسم الجلالة واسماء النبي (صلعم) وخلفائه الاربعة الاولين (ابو بكر وعمر وعثمان وعلي) عليهم السلام . والآن في احدى جهات هذا الجامع محل للخطيب وقبالته في الجهة الغربية محل لحضرة مولانا الاعظم يقيم فيه عند ما ياتي الجامع لاقامة الصلاة وهو كطبقة ثانية قائمة على اعمدة ثمينة . وبالاجمال نقول ان في ذلك البناء من اسباب العظمة والجمال والانقان ما يدهش ويحير ويكل عن وصفه اللسان

(١) هذه الكنيسة اقامتها الاميرة اولغا في حياتها وضمن

ودعتها الكنيسة عند العماد هيلانة وعينت لها تذكاراً يحتفل به في ١١ تموز من كل عام فبكاها الشعب طويلاً ولقبها بالحكيمة وتغزل بها الشعراء الروسيون ونظموا في مدحها والثناء عليها القصائد الرنانة تناقلتها الناس اجيالاً وبقيت مدوَّنة في بطون الاوراق الى هذا اليوم وسنوياً يحج المسيحيون الى قبرها من اقطار روسيا ويقيمون لتذكارها الاحتفالات الشائقة على شاطئ نهر دنيبر وخصوصاً في وطنها قرية ڤيوطي المتقدم ذكرها في اول هذا الفصل

هذه الكنيسة قبر الاميرين المسيحيين المتقدم ذكرهما (اسكولد او نقولاوس ودير)

الفصل السابع

﴿ الامير سفياتوسلاف ﴾

﴿ تولى سنة ٩٥٧ وتوفي سنة ٩٧٢ ﴾

لما استقالت الاميرة اولغا قبض على ازمة الاحكام ابنها سفياتوسلاف سنة ٩٥٧. وكان هذا الامير بطلاً هماماً وشجاعاً مقداماً عديم الشفقة قاسي القلب شرس الاخلاق يحب القتال ومباشرة الحرب ولذلك عصى والدتهُ في امر اعتناق الدين المسيحي لانهُ لم يطب لهُ عيش الهدو والسكينة فجنَّد جنداً كبيراً وجال بهِ في الاقطار الروسية

يلتقي الابطال في يوم الوغى
بجنانٍ لا يدانيهِ فزع

فارتعدت فرائص القبائل العاصية وخافت بطشهُ وفتكه فعنت لهُ صاغرة خاضعة · ولم ينفك سفياتوسلاف عن مطامعه السياسية حتى اشبعها فامتدت سلطتهُ الى جبال قوه قاف

ستذكرني المعامع كل وقتٍ
على طول الحياة الى المماتِ
فذاك الذكر يبقى ليس يفنى
مدى الايام في ماضٍ وآتِ

وقد قهر الخزر المنبثين في السهول الشرقية من روسيا واخذ مدينتهم وضرب عليهم الجزية · ثم حارب القبائل المنتشرة بالقرب من جبال قوه قاف وانتصر عليها وادخلها في طاعتهِ · وزحف ثمت على الاقوام القاطنين على ضفاف نهر اوكا فانقادوا لهُ صاغرين · وبالجملة فقد كان سفياتوسلاف رجلاً مسعوداً ومنصوراً في جميع حروبه ومغازيه

وفي ذلك الحين كان ملك اليونانيين يقاسي اعظم البلايا من جراء تعديات الاعداء المحيطين بهِ كالبلغار وغيرهم . فلما سمع عن انتصارات وفتوحات الامير الروسي ارسل لهُ هدايا كثيرة فاخرة واستغاث بهِ وطلب نجدته بالحاح لامزيد عليه فاسرع سفياتوسلاف بالرجال والجنود لمساعدته . ولما وصل الى بلاد البلغار حاربهم وانتصر عليهم واخذ مدينتهم بيريسلافتس ومكث فيها ردحاً من الزمن

ولما علم البيتشينيغيون (وهم من اعداء الامة الروسية) ان الامير سفياتوسلاف قد ظعن من كيف تجمهروا وزادوا جراءَةً وهجموا على كيف وحاصروها . وبقيت المدينة مدة من الزمان تحت الحصار الشديد يقاسي من فيها المخاطر والاهوال وسفياتوسلاف لاهٍ عنهم في عاصمة البلغار غير عالم بما جرى ويجري في بلاده

ولما ملَّ سكان كيف الانتظار انفذوا رسلاً الى

الامير سفياتوسلاف لكي يطلعهُ على حقيقة حالهم . —
وربما يقال : كيف استطاع هذا الرسول ان يخرج من
المدينة ويسير الى الامير والاعداء محيطة بها احاطة
الهالة بالقمر . فجواباً على هذا اقول : انه تزيا بزي
رجال البيتشينغيين ولف على يده مقوداً وخرج من
المدينة يتساءل بلسان الاعداء «من رأى حصاني»
فلم يفتكر الاعداء به سوءًا . وبهذه الحيلة تمكن من
الوصول الى شاطيء نهر دنيبر وهناك رمى بنفسه الى
النهر ووصل بمساعدة مهارتهِ في السباحة الى الشاطيء
الثاني حيث التقى بريتيتش وهو احد قواد الامير ومعه
شرذمة من الجنود . فاخبره الرسول بواقعة الحال واكد
عليهِ ان يذهب سريعاً لانقاذ المدينة . — فاسرع
بريتيتش ومن معهُ لرفع الحصار عن كيف . ولما علم
الاعداء بمجيئه ظنوهُ الامير سفياتوسلاف فتركوا المدينة
وفروا هاربين . الاَّ انهم تحققوا اخيراً الامر . فتقدم

زعيمهم الى القائد المذكور وسلم عليه وصافحهُ قائلاً :
كن اخاً لي وساعدني على فتح المدينة فتكون لك المنزلة الكبرى بين رجالي · فاذعن هذا القائد الخائن لطلب رئيس الاعداء وعاهدهُ على العمل معه ورجع واياه الى المدينة وحاصراها

وفي هذه البرهة تمكن الروسيون من ارسال بعض الرجال الى الامير سفياتوسلاف لينبئوه بما حل بهم . فلما وصل هولاء قالوا للامير

«اعلم ايها السيد الكريم · والامير العظيم · ان مدينة كيُف قد اصبحت تحت خطر شديد لان البيتشينغيين قد هجموا عليها وحاصروها وقد منعونا عن ورود الماء · ومما زادنا ضعفاً وزادهم قوةً وشجاعة اتحاد قائدك بريتيتش مع زعيمهم وقد نفد الجانب الاعظم من الزاد الموجود في المدينة وفي عزم الاعداء ان يفتحوها عنوةً · فاذا بقيت مصرّاً على تركها فيموت

من فيها جوعاً وعطشاً وتقع بيد الاعداء »

فاضطرب الامير عند سماعهِ هذا الكلام وقام من ساعتهِ وجمع رجاله وعاد بهم الى الاوطان وفي عزمه ان يفتك بالاعداء ويبليهم عن آخرهم . ولما اقترب من كيف انسحبت عنها الاعداء فلحقهم سفياتوسلاف برجاله وجموعهِ وادار فيهم سلاح الانتقام فدارت رحى حربٍ هائلة بين الفريقين وانتشبت نيران المعمعة وارتفعت لهبها . ولم يكن الاّ ساعات قلائل حتى فني معظم الاعداء وقتل زعيمهم والقائد الخائن . وقد انتصر عليهم سفياتوسلاف انتصاراً طبق انحاء روسيا واكتسب منهم اشياء كثيرة وقتل عدداً كبيراً . ثم دخل كيف منصوراً ظافراً ولسان حالهِ يقول

ولي في كل معركةٍ حديثٌ
اذا سمعت بهِ الابطال ذلوا

غللت رقابهم واسرتُ منهم

وهم في عظم جمعهم استقلُّوا

ثم اخذ سفياتوسلاف يجمع الرجال والابطال ليسير بهم لمحاربة من بقي من الاعداء . ولما انتهى من عمله جمع شيوخ المدينة واعيانها وكبراءها وخاطبهم قائلاً :

«اعلموا يا معاشر الروسيين ان نفسي لا ترتاح الى العيش النسكي في كيف بل تجنح الى السكنى في مدينة بيريسلافتس على ضفاف الدانوب[1] فهناك اللذة والطرب وهناك الغنى والسعادة وهناك النعيم والعيش الهني . وعلاوة على ذلك فان عاصمة البلغار محاطة بالبلاد الغنية كبلاد اليونانيين وغيرهم الذين اجبرهم على ارسال الجزية الثمينة كالذهب والاقمشة الحريرية والانسجة

(١) هو نهر في اوربا . مخرجه في بلاد اوستريا ومصبه في البحر الاسود

الغالية والخمور المعتقة والخيول المطهمة مع ما ترسلهُ الي روسيا من العبيد والجلود والعسل وغيره · ولذلك فانا اغادركم الآن لاسير الى عاصمة البلغار حيث اقدر ان اتمم رغائبي»

فاجابته والدته: «كيف ترضى مفارقتي وانا على فراش الامراض وقريبة من الموت · فاصبر قليلاً الى ان تودعني الثرى وحينذاك تتمم كل مقاصدك»

فلم يسع سفياتوسلاف الاّ طاعة والدتهِ · ولما ادركتها المنية فارق كيف قاصداً مدينة بيريسلافتس الاَّ انه لم يصادف فيها الاَّ العصيان والعدوان · فشرع في محاربتها · وكان اليونانيون قد علموا ما عوَّل عليهِ الامير من اخضاعهم وضرب الاموال عليهم · فجهزوا عسكراً كثيفاً وارسلوه لمحاربة سفياتوسلاف وقهره وطرده الى بلاده · وقد حققوا الآمال بفوزهم وانتصارهم عليه اذ ظنوا ان رجاله بعد انتهاء القتال مع البلغاريين

يقل عددهم وترتخي عزائمهم ولا يمكنهم الوقوف امام الجيش اليوناني البالغ نحو مئـــة الف فيتسنى لهم قهره وابادة جيوشه وطردهم من تلك الجهات ولكن خابت الآمال . . .

فما انتهى سفياتوسلاف من محاربة البلغاريين حتى اشتبك القتال بينه وبين اليونانيين وقد كلّت عزائم الروسيين ولم يقدروا بادىء بدء على الوقوف امام جيوش اليونانيين الكثيرة واخذوا في التقهقر والرجوع الى الوراء . فصاح بهم سفياتوسلاف قائلاً :

«ما هذا الضعف وهذا الخذلان ياقوم الاخاق بنا ان نموت في مواطن الحرب ومواقف الهزاهز اعزاءَ . من ان نعيش جبناء اذلاء ويقال ان الاعداء غلبونـــا وطردونا

دعوني في القتال امت عزيزاً

فموت العزِّ خيرٌ من حياتي

فاشرعوا الاسنة وقاتلوا قتال الأبطال · وها هنا امتحان الرجال · ومواطن الصبر والاحتمال · فلا تهولنكم الكثرة بل تدرعوا بالشجاعة لانها توسد صاحبها مكاناً عالياً فهي حصون الرجال في مواقع الحرب فاعتصموا بها واهجموا على الاعداء هجمات الاسود وشتتوهم في هذه الساعة ولا تدعوهم يستظهرون عليكم ويبلونكم لانكم بذلك تبقون بين حفدتكم ذكراً ملطخاً بدماء العار الذي لا مناص منهُ اذا تقهقرتم وعدمتم الشجاعة والبأس · اما انا فاحب اليَّ ان تنوشني ظبى الصفاح · وتلعب بجسمي اسنة الرماح · وتاكلني وحوش البر وطيور السماء من ان اسمع خبراً يلم بعرض روسيا ويلحقها منه العار

ومن يروم ذرى العلياء هان لهُ

بذل النفيس وضحَّى نفسه كرَما

ومن قضى في دفاعٍ عن حمى وطنٍ

يحيا بذكرٍ ويبقي باسمه علما

فاهجموا عليهم يا معشر الروس هجمة الاسود الكواسر وبددوا شملهم وجموعهم وفرقوهم في الآكام والهضاب»

فتشدد الروسيون من هذا الكلام وحملوا على اليونانيين واشتبك القتال بين الفريقين وحمي الوطيس وما كنت تسمع الأ زئير القواد وهدير الصفاح وصلصلة الرماح وما ترى الأ رؤوساً تتقطع وصدوراً تتمزَّق واجساماً تتجندل والامير سفياتوسلاف يصول ويجول من جانب الى آخر تحت ظلال السيوف واستخفاف الحتوف وهو يطعن ويردي ويصيح ويدخل بين صفوف الاعداء ويجندل ابطالهم وفرسانهم وكأَني بـه يقول ما معناهُ

ان المنية لو تمثل شخصها

لي في العجاج طعنتها في الاولِ

ولما عاين الروسيون افعال قائدهم وسيدهم ازدادوا

شجاعةً وحماسةً وقويت عزائمهم وتشددت سواعدهم ٠ وما زالوا يعملون باليونانيين السيف ويجندلون رجالهم على الصحصحان يخضبون الارض بدمائهم حتى انزلوا بهم البلاء وجرت دماؤهم كالانهر ٠ فاستفدح الخطب على اليونانيين وولوا الادبار غير لاوين على شيءٍ ٠ فلحقهم الروسيون وابلوهم وسلبوهم ما كانوا يملكون من الذخائر . وهذه الموقعة قد هدت قوى اليونانيين وذهبت بشجاعتهم ورفعت لواء الروسيين وجاءت خطوة هامة في تقدمهم ونجاحهم وفوزهم وظهرت برهاناً اشهب على ثباتهم وبأسهم وبطشهم حتى خافتهم الجيوش وهابتهم الملوك

وقد خسر سفياتوسلاف من جيشهِ عدداً وافراً فلم يمكنه ان يبقى في بلاد الغربة مع جيشه القليل فعاد بهم الى الاوطان

ولما علم البيتشينيغيون ما جرى لسفياتوسلاف

وانه راجع بشرذمة قليلة قطعوا عليهِ الطريق في نهر دنيبر وتغلبوا عليه واسروه ثم قتلوه وصنعوا من رأسهِ قدحاً صار اميرهم يشرب به الخمر وقت الولائم والاحتفالات وعلى هذه الصورة غادر سفياتوسلاف الحياة . وكان ذلك سنة ٩٧٢ وقد ترك ثلاثة اولاد . فلما علموا بوفاته اقتسموا البلاد فيما بينهم

الفصل الثامن

﴿ الحوادث التي جرت في روسيا ﴾

﴿ من سنة ٩٧٢ الى سنة ٩٨٠ ﴾

كانَ للامير سفياتوسلاف ثلاثة اولاد وهم يا روبولك واوليغ وقلاديمر · فبعد موت ابيهم اقتسموا البلاد الروسية فيما بينهم · فتبوأَ اكبرهم (ياروبولك) اريكة الامارة في كيف . وصار الثاني (اوليغ) اميراً على قبيلة الدريفليانه · اما الاصغر (قلاديمر) فتولى ادارة نوفغورود

وبعد ردح من الزمن وقع النفور بين الاخوين الكبيرين ودبت بينهما عقارب البغض وتفاقم العدوان واشتعلت نيرانه · فجنَّد كلٌّ منهما جنداً كبيراً وذهب

المحاربة الآخر . وبعد قتال عنيف دارت الدائرة على الدريقليانيين ففروا هاربين وتشتتوا في القفار · ففتش ياروبولك على اخيهِ فوجده مطروحاً في بعض الحفر وقد عدم الحياة فضم ارض الدريقليانيين الى ارضه واخذ يتأهب لمحاربة امير نوفغورود والاستيلاء على مدينته وولايته

فلما علم ڤلاديمر بما نصبهُ له اخوه من الشراك وانه مصمم ان يقبض على زمام البلاد ويستقل بها اضطرب وعظم عليه الامر فعزم على الانتقام من اخيه وقهره واخذ بثار اخيه اوليغ · فذهب الى الڤاريَاغيين وطلب منهم المساعدة والامداد على حرب اخيه فلبوه وامدُّوه

ولما ابتدأ في الحرب اراد الزواج وقد سمع بجمال روغنيدا ابنة روغفولود امير بولوتسك فشغف بها وبعث يطلبها من ابيها · وكانت هذه الفتاة مخطوبة

للامير ياروبولك فامتنعت عن اجابة الطلب واجابت باحتقار قائلة : « تأبى نفسي الاقتران بابن الجارية ولا استطيع ان انزع جزمته »[1]

اما ڤلاديمر فلما بلغه هذا الخطاب استشاط غضباً فقام لساعته وزحف بجيشه على مدينة بولوتسك وحاصرها واستولى عليها وقتل اميرها وولديه واخذ ابنته عنوةً واقترن بها رغماً عن انفها ثم حوّل وجهه نحو كيڤ وشرع في حصارها فلم يقدر على فتحها فارسل يقول للقائد المتولي ادارتها واسمه بلود : « كن معي يداً واحدة لاني اريد ان انتقم من اخي واقتله وبعد ذلك اجعلك من اعظم قوادي » فاجابه بلود :

(١) هي عادة قديمة لم تزل منتشرة بين الفلاحين في روسيا الى الآن وهي ان العروس بعد الزفاف تنزع من رجلي زوجها جزمته علامة الخضوع واشارة الى انه متسلط عليها وسيدها . اما وجه تسمية الامير ڤلاديمر بابن الجارية فمبني على اساس وهوان والدة ڤلاديمر كانت جارية عند الاميرة اولغا المتقدم ذكرها

« اني ارغب في ذلك واكون طوع اوامرك » فابتهج ڤلاديمر وبقي محاصراً المدينة مدة ٠ وبعدها فتحت ابوابها فدخلها وتبوأ سرير الامارة فيها ٠ فارسل بلود يقول للامير يارو بولك (وكان متغيباً عن كيف) « اعلم ايها الامير ان اخاك ڤلاديمر قد دخل المدينة واستولى عليها فسر الآن اليهِ واطلب الصفح عما بدر» فاطاع يارو بولك ودخل المدينة وسار الى القصر الموجود فيه الامير ڤلاديمر ٠ ولما وصل الى المدخل انقض عليه رجال الامير ڤلاديمر وفتكوا به

وهكذا انتقم الامير ڤلاديمر من اخيه يارو بولك فاستبد بالحكم وحده وخضعت له جميع القبائل وصار الامير الوحيد والدوك العظيم في كل روسيا ٠ وفي زمانه ازدادت شوكة الروسيين وعظمت سطوتهم

الفصل التاسع

﴿ الامير ڤلاديمر ﴾

﴿ تولى سنة ٩٨٠ وتوفي سنة ١٠١٥ ﴾

لما تبوأ الامير ڤلاديمر كرسي الامارة في كيف ووضع يده على جميع المقاطعات الروسية اخذ يسعى اولاً في قطع دابر البغاة واخضاع القبائل العاصية ومن ثم شرع في تحسين احوال بلاده وتنظيم امورها وضبطها والاعتناء بسياستها . فازدادت شوكة الروس في ايامه وتحسنت احوالهم جداً

وكان ڤلاديمر اميرًا رفيع القدر ذا عقل ثاقب تلوح عليه علامات الفراسة والشجاعة وقوة الجنان وحسن المستقبل. وكان موصوفاً بالحكمة والذكاء والحزم

والدراية والحذق . وكان بطلاً هماماً ووثنياً حرّاً اتصف
بالتعلق الشديد بالاوثان التي كانت محيطة بقصره من
كل الجهات وكان يقدم لها ضحايا كثيرة متنوعة من
الاثمار والحيوانات واحياناً من البشر بحسب القرعة ·
وكان اعظم هذه الآلهة بيرون (وقد تقدم ذكره) المصنوع
من الخشب على صورة الانسان براس من الفضة
وعوارض من الذهب . وكان لهذا الاله الحظ الاوفر
والقسم الاكبر من الذبائح والضحايا البشرية .

. . . .

ذكرنا في ما مضى ان البيتشينيغيين كانوا اعداء
الداء للامة الروسية . فكانوا يضيقون عليها ويقلقون
راحتها . وقد ظهروا في ايام الامير ڤلاديمير وشرعوا
يعيثون في الارض فساداً . فاخذ الامير ڤلاديمير جيشه
وسار به لطرد هؤلاء الاعداء . وبعد قتال شديد ابلاهم
الروسيون وسلبوهم ما كانوا يملكون ثم رجعوا الى كيف

ظافرين منتصرين وقضوا بضعة ايام في اهنأ عيش يقدمون الذبائح للالهة شكراً لها على ما منحتهم من الظفر وانتهم من النصر المبين واراد ڤلاديمر ان يقدم للاله بيرون ذبيحة بشرية. فجمع شيوخ البلد واشرافها وخاطبهم قائلاً

« اعلموا ايها الرجال الروسيون اننا لم نقم باحتفالاتنا لدى الالهة حق القيام لاننا لم نقدم لالهنا الاكبر بيرون ضحية بشرية في هذه الايام فعلينا ان نقوم بواجباتنا نحوه. فالقوا القرعة على الشبان والشابات ومن تقع عليه نحضره ذبيحة لبيرون »

وكان في تلك الايام عائشاً في كيف رجل ڤارياغي اسمه ثيودور له ابن وحيد جامع لاكثر الصفات الحميدة واسمه يوحنا. وكانا مسيحيين. فبعد ان أُلقيت القرعة وقعت على ابن ذلك القارياغي. فذهب الرسل وراءه الى ابيه قائلين :

« لقد وقعت القرعة على ابنك فهو المنتخب اذاً ليكون تقدمةً للاله بيرون فودعه الوداع الاخير وادفعه الينا»

فاجابهم القارياغي بقوله : « آلهتكم ليست آلهة حقيقية ولكنها خشب توجد اليوم منصوبة ثابتة وغداً تحرَق وتتحوَّل الى هباءٍ . انما الاله الحقيقي واحد الذي يسجد لهُ ويعبدهُ اليونانيون. وهو خالق السماء والارض والنجوم والقمر والشمس والانسان اما آلهتكم فماذا عملت؟ انها لم تعمل شيئاً بل هي مصنوعة بايدٍ بشرية من خشب فلا اسلمنَّ ابني للابالسة »

فاستشاط الرسل غيظاً عند سماع هذا الجواب المهين ورجعوا الى ساحات الولائم والاحتفالات وقصوا هذا الحادث على الشعب

فاضطرب الجميع من هذا الكلام واستولت الغيرة عليهم وصمموا على الانتقام من القارياغي . فحملوا

سلاحهم وهرولوا الى بيتهِ وهجموا عليهِ وهدموا الجدار المحيط بهِ وهم يصرخون: «قدّم ابنك للآلهة لانها تطلبهُ»

فاجاب الفارياغي: «اذا كانت آلهتكم حقيقية فدعوها ترسل احداً منها وراء ابني. اما انتم فلماذا تزعجون انفسكم؟»

فازداد الشعب صراخاً وحقداً وامتلأت انفسهم ضغينة واضطربت جوارحهم وانقضوا على الفارياغي وابنهِ وقتلوهما

ذانك الشهيدان اوائل الشهداء المسيحيين الروسيين والكنيسة المقدسة احصت اسميهما في مصاف القديسين ورتبت تذكاراً لهما اليوم الثاني عشر من شهر تموز من كل عام

وقد اثّر هذا الحادث تأثيراً بليغاً في نفس الامير ومن ذلك الحين انقطع عن تقدمة الضحايا للآلهة

وفترت محبته لها . فشاع هذا الخبر وما بمعناهُ في كل انحاء كيف ومنها اتصل الى غير جهات وامتدَّ الى الى اماكن شتى . وفحواه ان الامير ڤلاديمير يريد ان يرفض الوثنية ويعتنق غيرها من الديانات التي ترضيه . فلما سمع الاقوام المجاورة هذا الخبر وتاكدوا عزم الامير صاروا يرسلون اليه رسلهم لكي يعرضوا عليه دياناتهم وكل شعب اراد ان يكون متحداً بالايمان مع هذا الامير الجليل

وفي سنة ٩٨٦ اتى الى الامير ڤلاديمير بلغاريون مسلمون وقالوا له « لقد عُرِفتَ ايها الامير بالحكمة والحذق واشتهرت باصالة الراي والمعرفة الا انك تجهل الديانة الحقيقية فاقبل شريعتنا واسجد لالهنا »

فقال لهم الامير — وفي اي شيء تنحصر شريعتكم؟

فقصوا له شريعتهم باختصار. فلما علم الامير ان دينهم يحرم شرب الخمر اجابهم — ارجعوا من حيث

اتيتم لان الخمر فرح الروسيين فبدونه لانقدر ان نعيش ثم اتى اليه نمساويون باباويون وقالوا له — ارسلنا اليك بابا رومية[1] وامرنا بان نقول لك ان ارضنا

(١) (بابا) كلمة شرقية معناها الاب بلسان الاطفال . ثم صارت تطلق على جميع الاساقفة بدون استثناء ثم صارت لقباً مختصاً بالاسقف الروماني سنة ١٠٧٣ في زمن غريغوريوس السابع الذي شيد اركان سلطة الباباوات السياسية فكانت سطوتهم يومئذٍ في اعلى طبقة سائدة على كل ملوك الارض اذ كان لغيرهم من الملوك تاجٌ واحد واما هم فكان لبعضهم ثلاثة تيجان احدها فوق الاخرى دلالة على السلطة المثلثة المجتمعة فيهم وهي رئاسة الكنيسة العمومية واسقفية رومية والولاية المدنية على الاراضي الرومانية . والى هذا المقدار اتصلت سيادة الباباوات وشوكتهم حتى لم يبقَ في اوربا مملكة الاّ واضطربت من افعالهم ولا كرسي الاّ وارتجّ من شوكتهم . وقد ساعد هذا التقدم عدة ظروف تاريخية منها (١) ان مدينة رومية كانت وقتئذٍ عاصمة المملكة الرومانية بامرها (٢) ان مسيحيي مدينة رومية كانوا اغنى واكثر من مسيحيي بقية المدن (٣) ان كثيرين من كبار الشهداء المسيحيين وفي مقدمتهم هامتا الرسل بطرس وبولس قد نالوا اكاليل

كارضك ولكن عبادتكم بعيدة عن عبادتنا وبينهما فرق جسيم وبون عظيم · انتم تعبدون الاوثان الغير الحية

الشهادة في مدينة رومية (٤) ان مدينة رومية كانت محط رحال كثيرين من المسيحيين كانوا يتواردون اليها بعضهم لاجل زيارة مدافن الشهداء القديسين والبعض الآخر لاجل الاشغال العالمية (٥) ان اسقف رومية كان الرئيس الروحي الوحيد على جميع كنائس الغرب بعكس بلاد الشرق التي كان فيها عدة رؤساء روحيين · فهذه الوسائط وما ضاهاها ساعدت اساقفة رومية على احراز تلك القوة والصولة والسيادة ولا نقدر ان نستوفي الكلام على ما لباباوات رومية من الامتيازات والسلطان والسؤدد وما اتصفوا به من العصمة وغيرها فنكتفي بما ذكر

(رومية) عاصمة ايطاليا من اشهر مدن الدنيا واقدمها وهي مدينة كبيرة ذات ابنية جميلة وقصور فاخرة عظيمة بناها روميلوس سنة ٧٥٣ق · م · وكانت قديمًا تحتوي على مليونين من النفوس وكان لها ست عشرة بوابة وفيها كثير من الآثارات المشهورة والبقايا القديمة الفاخرة وكل انواع العظمة والمجد · ومن اشهر كنائسها كنيسة القديس بطرس وهي من ابهج واعظم الكنائس في العالم وقد انفق عليها مئة وستون مليونًا من

المصنوعة من خشب اما نحن فنعبد الله الذي خلق السماء والارض والشمس والقمر والنجوم وكل نسمة فعبادتنا نور وعبادتكم ظلام

فاجابهم ڤلاديمر — ارجعوا الى بلادكم . آباؤنا لم يقبلوا ايمانكم ونحن لا نقبله

بعدئذٍ حضر الى ڤلاديمر وفدٌ من طرف اليهود الخزريين وقالوا له — سمعنا انه قد جاءك مبشرون مسيحيون ليقنعوك ويعلموك ايمانهم . لكن اولئك يؤمنون

الريال . وبقربها قصر الفاتيكان الشهير المختص لسكن البابا وات وفي هذا القصر اكثر من اربع آلاف حجرة وفيه مكتبة تحتوي على مئة الف مجلد ونحو خمسة وثلاثين الف كتاب بخط اليد . وفي هذه المدينة كثير من الصور والتماثيل القديمة التي تفوق على غيرها من تصاوير ومنقوشات باقي الناس في الصنعة والاتقان وحسن الرسم الدالة على براعة وحذاقة سكانها الاقدمين ولا سيما خرائبها المتفرقة التي تذهل العقول وتدهش النواظر ببهجتها وجمالها وعظم ارتفاعها . وقد جرى مع هذه المدينة حروب كثيرة نضرب عن ذكرها لضيق المقام

بذاك الذي صلبه اباؤُنا منذ زمن قديم اما نحن فنؤمن باله واحد خالق كل الموجودات ومدبر كل الكائنات وهو اله ابراهيم واسحق ويعقوب

فسألهم ڤلاديمر بغتةً — واين ارضكم ؟

فاجابوا — اورشليم [1] ولكن الله غضب على

---

(١) هي اشهر مدن العالم جميعها لاسباب كثيرة معلومة ولكنها الآن قد انحطت عن عظمتها القديمة ولم يبقَ لها اعتبار الا بسبب الاماكن المقدسة المشهورة فيها التي يزورها المسيحيون من جميع اقطار الارض . وهي واقعة في ٤٦َ و٣٥ْ من العرض الشمالي و ٤١َ و٣٣ْ من الطول الشرقي . وهي محاطة بسور بناه السلطان سليمان العثماني سنة ١٥٤٣ وله اربعة ابواب على الجهات الاربع وكانت تسمى قديماً مدينة السلام او ساليم . وهي مبنية على اربعة جبال وهي صهيون وموريا واكرا وبزيثا اما تاريخ بنائها فلم يزل مجهولاً . وقد جرى فيها حروب كثيرة وقاست اهوالاً عديدة ومصائب شتى واستولت عليها امم كثيرة وفي سنة ١٥١٧ استولى عليها المغفور له السلطان سليم الاول الغازي واستمرت بيد الدولة العلية حتى اخذها المصريون تحت قيادة ابرهيم باشا سنة ١٨٣٤ . وفي سنة ١٨٤٠ عادت

آبائنا وشتتنا في كل انحاء المسكونة لاجل خطاياهم

فنظر الامير اليهم شذراً وقال — فاذاً كيف تعلمون الناس وتهدونهم الى ناموسكم. فلو كان الله يحبكم ويحب ناموسكم لما بددكم وشتت شملكم. او لعلكم ترغبون في ان يحل بنا ما حل بكم ارجعوا من حيث اتيتم

اخيراً ارسل اليونانيون احد فلاسفتهم واسمهُ كيرلس مصحوباً بهدايا وافرة من البطريرك المسكوني (١)

اورشليم لسلطة الدولة العلية . وفي هذه المدينة اديرة كثيرة وكنائس عديدة واماكن مقدسة مختلفة واشهرها قبر السيد المسيح الموجود في كنيسة القيامة التي بنيت سنة ٣٢٦ واليها يحج المسيحيون سنوياً من جميع اقطار الدنيا . وفيها الحرم الشريف او جامع الامام عمر الذي بناه الخليفة عمر سنة ٦٤٨ م عند فتحه اياها ومن رام الاطلاع على تاريخ هذه المدينة الشهيرة باسهاب فعليه ان يتصفح النبذ التاريخية المطوّلة

(١) ان اول من لقب بطريرك القسطنطينية بالمسكوني كان بعض الاكليروس الانطاكي في الجيل السادس واول من امضى اسمه بهذا اللقب كان البطريرك القسطنطيني يوحنا

(نيقولاوس الثاني) . فلما وقف هذا بحضرة الامير اخذ يقص عليه في اي شيء تنحصر شريعة اليونانيين وما هي ديانتهم المسيحية الارثوذكسية مشبعاً الكلام عن بعض حوادث من التاريخ المقدس كخلقة العالم وخطيئة الجدين الاولين ومجيء المسيح وتعليمه عن محبة الله والقريب وآلامه على الصليب وموته لاجل خلاص الجنس البشري وعن مجيئه الثاني بمجد ليدين العالم . واراه ثمت صورة القضاء الاخير حيث كان جميع الشعوب وقوفاً امام منبر المسيح وبينهم الملوك والامراء والاشراف والفقراء وجميعهم ينتظرون الحكم العدل .

الصائم في رسالةٍ لهُ بعث بها الى بابا رومية غريغوريوس الذيالوغوس (سنة ٥٩٥) ومع ان هذا البابا قد تكدر من هذا اللقب العريض واخذ يلقب نفسه (عبد عبيد الله) مع ذلك قد استمر البطاركة القسطنطينيون من ذلك الحين يلقبون انفسهم بالمسكونيين الى يومنا الحاضر (مختصر تاريخ الكنيسة المسيحية للكاهن الفاضل باسيليوس ميخايلوفسكي تعريب الارشيمندريت رفائيل هواويني)

فاندهش ڤلاديمر عند مارأى تلك الصورة البديعة التي
لم يكن قد راى مثلها من قبل · فسأل الفيلسوف
ايضاح ذلك فاجابه — ان الواقفين على الجانب الايمن
من الحاكم هم الابرار الذين يذهبون الى النعيم ويعاينون
الله على الدوام اما الواقفون عن الجانب الايسر فهم
الاشرار المحكوم عليهم بالعذاب الدائم

فلما سمع الامير ذلك تنهد وقال — طوبى لمن
على الجانب الايمن والويل لمن على الايسر

فاجابهُ الفيلسوف —اذا كنت ترغب في الوقوف
مع الابرار عن يمين الحاكم العادل اعتمد فقط وتمم
وصاياهُ

فقال لهُ الامير ڤلاديمر بعد التفكر برهةً —
لاصبرنَّ بعد قليلاً · ثم اطلق الفيلسوف اليوناني بكل
تبجيل واكرام

بعد ذلك جمع ڤلاديمر اشراف المدينة واعيانها

واخبرهم عن مجيء الرسل اليهِ وما داربينه وبينهم من الحديث بخصوص الاديان وقص لهم باسهاب ما جاء بهِ الفيلسوف اليوناني من القصص البديعة والحوادث التاريخية الجميلة واخيراً سألهم — فماذا تجيبوني على ما ذكر

فاجابهُ الاشراف — من المعلوم ايها الامير ان كل انسان يحامي بقدرِ امكانهِ عما يخصهُ ويبين بطلان شريعة غيره · فاذا اردت ان تفحص الاديان فحصاً مدققاً فعليك بان تنتخب لك نفراً من احذق رجالك واوفرهم عقلاً وحكمةً وترسلهم ليفحصوا عن كل ديانة في محلها وبهذا ينكشف الغطاء ويبرح الخفاء

فاعجب هذا الكلام ڤلاديمر وللحال انتخب عشرة رجال حكماء وقال لهم — انطلقوا الى البلدان المجاورة وافحصوا عن الاديان بكل تدقيق ولا تنسوا شيئاً ومن

ثم عودوا الينا واخبرونا عن كل ما سمعتم ورأيتم

فانطلق هولاء السفراء اولاً الى مقاطعة البلغار المسلمين ثم الى اليهود الخزريين ثم الى النمساويين البابويين وعند ما وصلوا الى القسطنطينية ودخلوا كنيسة اجيا صوفيا العجيبة وشاهدوا زينتها الباهرة التي تستوقف الابصار وتاخذ بمجامع الافئدة والافكار وسمعوا فيها القداس الالهي من البطريرك القسطنطيني والاكليروس اليوناني بحضور الامبراطور واركان الدولة والاشراف والاعيان وعاينوا ذاك البهاء والجمال والوقار والكمال المنتشرة اروقته على كل انحاء الهيكل اندهلوا وارتاحت انفسهم وثلجت صدورهم وقرّت عيونهم وانجلى صدأُ قلوبهم . ولما رجعوا الى كيف ووقفوا بحضرة الامير واشراف المدينة قالوا لهم :

« قد طفنا كل الاماكن المجاورة ورأينا ترتيبات عديدة وشاهدنا اموراً كثيرة وفحصنا فحصاً مدققاً فلم

نرَ احسن من ديانة اليونانيين لاننا لما وقفنا في كنيستهم ابان خدمتهم لالههم لم نعرف في ذلك الوقت افي السماء نحن كنا ام على الارض لانه لا يوجد على الارض اجمل من ذاك المنظر فبالحقيقة ان الله هناك مع البشر . . » ثم ختموا حديثهم قائلين « وكل انسان ايها الامير اذا ذاق حلاوة لا يريد فيما بعد ان يذوق مرارة وهكذا نحن لا نستطيع ان نبقى في عبادتنا القديمة بل نريد ان نغيرها »

ثم اردف الاشراف خطاب السفارة بقولهم — ولو كانت شريعة اليونان غير حقيقية لما قبلتها جدتك اولغا الذائعة الصيت بالحكمة ووفور العقل

وبعد يسير اتفقوا جميعاً مع الامير على قبول الايمان المسيحي الارثوذكسي على ان ڤلاديمر لم يرد ان يذلل نفسه لملك الروم ويلتمس منه الايمان كمن يحب ان يخضع له ويكون طوع امره فلذلك عزم اولاً على

محاربة اليونان ليقتبل الايمان الجديد بعد الغلبة

فاخذ جيوشه وسار بهـا الى شبه جزيرة القرم (وكانت من املاك اليونان) وحاصر مدينة خرصون بقرب سفاستوبول على شاطئ البحر الاسود فدافعت هذه المدينة طويلاً وقاومت الروسيين مدةً حتى لم يبقَ في قوسها منزع . اخيراً افتتحها الامير عنوة وارسل ثمت سفيراً الى القسطنطينية يقول لامبراطوريها[1] « اني قد تسلطت على مدينتكما خرصون وهكذا افعل بالعاصمة اذا لم تعطياني شقيقتكما الاميرة حنة زوجةً لي»

فاجابه الامبراطوران قائلين «لا يجوز للمسيحيين ان يعطوا بناتهم للوثنيين ولكن اذا كنت تعتمد يزول المانع ونزفها عليك»

فتعهد الامير لهما بقبول المعمودية واعتناق المذهب المسيحي

(١) هما باسيليوس الثاني وقسطنطين الثامن وكانا يحكمان معاً في البزنطية

فابتهج الامبراطوران عند سماعهما هذا الخبر وارسلا اختهما الى خرصون وبمعيتها مطران اسمه ميخائيل وعدد غفير من الكهنة والاكليروس · وعند وصول الاميرة حنة الى خرصون اقبل الناس افواجاً لرؤيتها واستقبلوها استقبالاً شائقاً · اما ڤلاديمر فمرض اذ ذاك مرضاً شديداً بعينيه حتى لم يعد يبصر · فارسلت الاميرة حنة تقول له « اذا اعتمدت للحال تشفى » فاعلن الامير انه مستعد كل الاستعداد لقبول المعمودية وامر بان تعد لهُ لوازم المعمودية · فاتى جماعة الاكليروس وعمدوه باحتفال عظيم · وحالما خرج من ماء المعمودية انفتحت عيناه وصار يبصر فمجد الله وقال « الآن قد نظرت الاله الحقيقي »

وسمي ڤلاديمر في المعمودية باسيليوس . وبعد ذلك تم قرانـه بالاميرة حنة باحتفال نادر المثال وتذكاراً لاعتماده شاد في مدينة خرصون كنيسة جميلة ورد

المدينة الى امبراطوري الروم. ثم غادرها قاصداً كيف وبمعيته المطران ميخائيل والكهنة والاكليروس مع عدد وافر من الكتب الكنائسية والالهية المترجمة الى اللغة السلافية[1] وكذلك كثير من الاواني الكنائسية والبدلات الكهنوتية

---

(١) وعدنا في الفصل الثالث من هذا الكتاب (صفحة ٢٩) ان ناتي على كيفية استنباط حروف الهجاء السلافية وانتشارها واستعمالها والان تتميماً للوعد نقول

نشأت حروف الهجاء والكتابة عند امم الصقالبة مع انتشار الديانة المسيحية بينهم ومما الجأهم اليهـا احتياجهم الى قراءة الكتب الكنائسية والعظات الالهية ونواميس الكنيسة . وكان انتشارها بادىء بدء في بلاد البلغار والسرب . وبما ان اللغات السلافية (الصقلبية) كانت في ذلك الزمان لا تختلف عن بعضها كثيراً فهذه الكتب كانت تستعمل عند كل الصقالبة واستخدمت عند الروسيين بعد تنصرهم وشرعوا ينسخونها لان الطباعة لم تكن الى ذلك الوقت في عالم الوجود . — وانما ظهرت سنة ١٤٥٠ اما مخترعها فهو يوحنا غوتمبرج من مدينة مايانس في المانيا واول كتاب طبع هو التوراة . — اما

مستنبط الحروف الهجائية الصقلبية فهو القديس كيرلوس بمساعدة اخيه الاكبر مثوذيوس اللذان ترجما الى هذه اللغة كثيراً من الكتب الالهية كالكتاب المقدس وغيره ويقال ان اللغة التي ترجم اليها الكتاب المقدس كانت لغة البلغار القديمة . وتعميماً للفائدة نذكر هنا ترجمة هذين القديسين وكيف توصلا الى نشر الكتب المقدسة باللغة السلافية فنقول

وُلد القديس كيرلس سنة ٨٢٧ وتوفي سنة ٨٦٩ امـا اخوه الاكبر مثوذيوس فتوفي سنة ٨٨٥ . اما وطنهما فكان مدينة ثسالونيكية (سلانيك) من اعمال مكدونيا وكان سكان هذه المدينة مولفين من يونان وصقالبة

اما مثوذيوس فتربى منذ الصغير في حجر ابويه الممتازين بالشرف والمجد في تلك الايام . ولما بلغ اشده دخل في الخدمة العسكرية . وبعد ان استقام ردحاً فيها تعين حاكماً على مقاطعة صقلبية يونانية . ولكنه لم يستقم طويلاً هنالك لان نفسه لم تعد تميل الى العالم فتركه وذهب الى احد الاديرة على جبل اوليمبوس (آثوس) حيثما سيم راهباً . — امـا اخوه الاصغر كيرلوس فكان ممتازاً بمواهب كثيرة اخصها ميله الغريب الى العلم . فلما ترعرع اخذ يتلقن العلوم الفلسفية

كيف قبل وصوله اليها وصار سكان المدينة ينتظرون

واللاهوتية من العالم الفاضل فوتيوس (فيما بعد بطريرك القسطنطينية انظر صفحة ٢٤) معلم الامبراطور ميخائيل الثالث وبعد ان اتقن هذه العلوم في العاصمة سيم كاهناً ومدبراً للمكتبة الكبيرة في كنيسة القديسة صوفيا . ثم صار معلماً للفلسفة في المدرسة الكبرى في القسطنطينية . ولكنه لم يلبث ان ترك العالم ولحق باخيه مثوذيوس الى الدير حيثما اخذ كلاهما يتاهبان لخدمة الكنيسة ونشر بشرى الخلاص بين الامم الصقلبية . بيد انهما رغبةً منهما في سرعة نشر الايمان المسيحي بين ابناء جنسهما الصقالبة وتاييده عندهم استنبطا اولاً الحروف الهجائية الصقلبية وكان ذلك سنة ٨٥٥ كما يشهد الكاتب الشهير خرابر معاصر اواخر الجيل التاسع واوائل العاشر . ودعيت هذه الحروف «الكيرلية» نسبة الى مستنبطها كيرلوس الذي باشر بهذا العمل العظيم وتممه بمساعدة اخيه مثوذيوس . والفئة الكبرى من هذه الحروف تولدت من الحروف الهجائية اليونانية وبعضها من العبرانية والارمنية والقبطية وبعضها جديدة . وكان عددها في اول امرها ٣٨ حرفاً واستعملت هذه الحروف عند كل امم الصقالبة الا ان الغربيين منهم نبذوها مع تمادي الايام واستعملوا بدلاً منها الحروف الهجائية اللاتينية

بفارغ الصبر رجوعه اليهم · اما كهنة الاوثان فقد

وفي سنة ٨٥٨ ذهب كيرلوس ومثوذيوس الى بلاد الخزر لانارتها · فمرّا بمدينة خرصون الواقعة على شاطيء البحر الاسود بالقرب من سفاستوبول · فمكثا فيها بضعة ايام تمكن القديس كيرلس في اثنائها من حفظ بعض اللغة العبرانية ثم واصلا سيرهما الى بلاد الخزر فاستقبلهما خان تلك البلاد بكل ترحاب واكرم وفادتهما وسمح لهما بنشر ايمانهما في بلاده · وكان بين اولئك الخزر بين كثير من الصقالبة · وبعد ان عمد الاخوان القديسان من امة الخزر نحو ٢٠٠ نفس عادا الى وطنهما ·— فامرهما الامبراطور ميخائيل الثالث ان يتوجها لتبشير الامم الصقلبية الغير القاطنة في روسيا · فتوجه الاخوان القديسان للكرازة بين تلك الامم · وبنعمة الله لم يمضِ زمن طويل من كرازتهما الا وتنصرت اكثر الامم الصقلبية مثل البلغار والسرب والمواربيين والبوهيميين والبولونيين · وكان بعض اولئك الاقوام قد تنصروا قبل مجيء كيرلوس ومثوذيوس ولكنهم لم يكونوا حاصلين على كتب مقدسة يفهمونها · نعم ان كثيراً من الكتب الكنائسية كانت منتشرة بينهم ولكن باللغة اللاتينية استناداً على ان الصلوات والقراءات والتراتيل الروحية يجب ان تقرأ وترتل باللغات العبرانية واليونانية

شعروا بخسارتهم وانخذلوا

وفي اليوم المعين لوصول الامير خرج الاهلون

والرومانية فقط وهذا ما عاكس نمو الديانة المسيحية في تلك الارجاء . فلما ابتدا كيرلوس ومثوذيوس بالكرازة كما اشرنا سابقاً نشرا ايضاً بعض الكتب الكنائسية باللغة السلافية بين ظهراني الصقالبة . وصارا يتممان الخدمات الالهية بلغتهم فنجحا نجاحاً عظيماً حرّك الحسد في قلوب الاساقفة الغربيين المجاورين للامم الصقلبية فوشوا بهما الى البابا نقولا الاول بكونهما ادخلا استعمال اللغة السلافية في الطقوس الكنسية . فاضطرتهما الظروف وقتئذٍ ان يذهبا الى رومية . فاخذا معهما بقايا القديس كليمندوس بابا رومية (الذي كان قد مات في المنفى في شبه جزيرة القرم) وحضرا الى رومية . وفي اثناء ذلك توفي البابا نقولا وعقبه البابا ادريانوس الذي اذ علم ان كيرلوس ومثوذيوس قادمان اليه وبصحبتهما بقايا القديس كليمندوس استقبلهما خارج المدينة وابدى لهما من ضروب التكرمة والتجليل ما يعزّ عن المثيل . فقدم له كيرلوس الانجيل المقدس باللغة السلافية . فاستحسن البابا هذه الترجمة ووضع الانجيل على المائدة المقدسة في كنيسة بطرس الرسول . واظهر الاخوين اكراماً فائقاً واعتباراً عظيماً على غيرتهما

الرسولية وطهارة قلبيهما · وبعد ايام قليلة انتقل القديس كيرلوس الى الاخدار السماوية بعد ان اظهر لاخيه كل افكاره واطلعه على الوسائل والوسائط اللازم اتباعها لتسهيل طريق الكرازة بالايمان المسيحي وكانت وفاته في ١٤ شباط سنة ٨٦٩ فدفن باكرام جزيل في كنيسة القديس اكليمندوس ·——·

اما البابا فشرطن مثوذيوس اسقفاً على مورابيا وارجعه اليها باكرام مرخصاً له تتميم الخدمات الالهية باللغة السلافية · على ان الاكليروس البابوي المجاور لمورابيا لم يلبث ان انتهز فرصة حروب المورابيين مع الافرنج ووشى بمثوديوس الى امير المورابيين بدعوى انه انتحل لنفسه ابرشية تخص اسقفية سالسبورغ فقبض الامير عليه وبعد محاكمته في محكمة سالسبورغ الكنسية حكم عليه بالنفي الى بلاد جرمانيا وسجن هناك مقيداً بالسلاسل الحديدية · فبقي القديس مثوذيوس في هذا المنفى سنتين ونصف ذاق ابانها مرّ العذاب · على ان الله حفظه من شر اعدائه لان البابا يوحنا الثامن اذ علم ببراءته استدعاه من المنفى وارجعه الى ابرشيته في مورابيا بعد ان اشترط عليه الاَّ يستعمل اللغة الصقلبية في الكنيسة · ولكن لم تطل اقامته هنا لان اعداءه لم يتركوه براحة بل شددوا عليه النكير اكثر

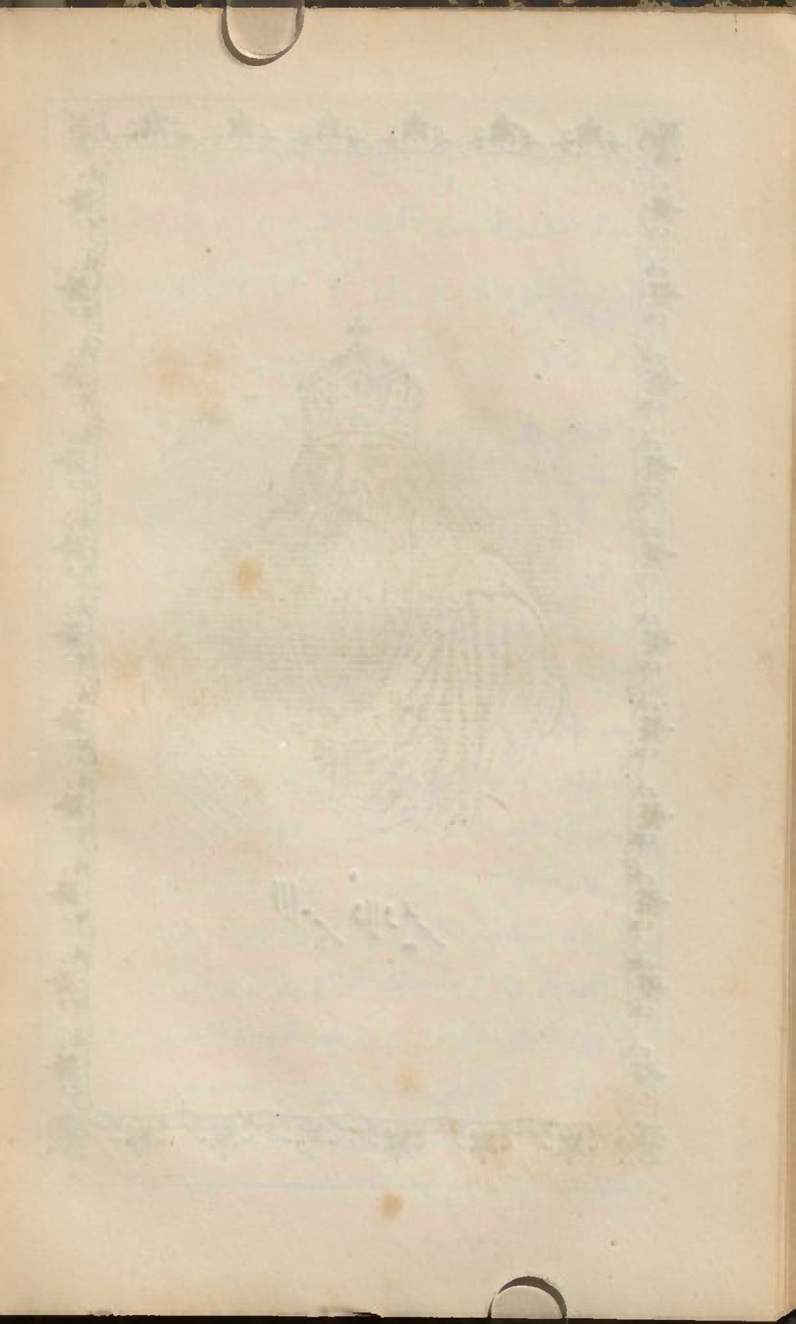
من ذي قبل واغروا البابا على اتلافه قائلين انه هرطوقي ويستعمل اللغة الصقلبية في الكنيسة · فاضطرَّ القديس مثوذيوس ان يتوجه ثانيةً الى رومية و يبرّر نفسه من الوشاية وبعد ان اخذ الرخصة من البابا لاستعمال اللغة الصقلبية في الكنيسة رجع الى ابرشيته مصحوبًا بكتاب من البابا الى امير مورايا يقول فيه: «نحن نمدح حروف الكتابة التي استنبطها قسطنطين (اسم كيرلوس قبل الدخول في عداد جماعة الاكليروس) لان الكتاب المقدس يأمر بتسبيح الله وتمجيده ليس فقط باللغات الثلاث (العبرانية واليونانية واللاتينية) بل بكل اللغات: سبحوا الرب يا جميع الامم · والرسل الاطهار بعد ان حل عليهم الروح القدس صاروا يذيعون عظمة الله بكل اللغات··· وترتيل الصلوات وقراءة الانجيل المقدس و كتب العهد الجديد والعهد العتيق وكذلك قراءة كل الكتب الكنائسية باللغة السلافية لا تضر بالايمان الصحيح والتعليم القويم بشرط ان تكون هذه الكتب المشار اليها مترجمة ترجمة صحيحة · لان الذي ابدع هذه اللغات الثلاث العبرانية واليونانية واللاتينية ابدع ايضاً بقية اللغات لمجده» ·— واستمر بعد ذلك القديس مثوذيوس مثابرًا على الكرازة والتعليم حتى

ڤلاديمر ومعه الاكليروس والاميرة حنة وكثيرون غيرهم هتف الشعب بالدعاء فحياهم الامير بوداعة ومحبة وحنو ودخل المدينة· وقبل كل عمل عمد اولاده الاثني عشر مثالاً وقدوةً للشعب · وعقيب ذلك امر بتحطيم الاصنام على مشهد من الجميع اما رئيس الالهة بيرون

وفاته في ٦ نيسان سنة ٨٨٥ · — · وبعد موته استمر تلاميذه مواظبين على انارة العقول والاذهان بالكلام الحي الاَّ انهم صادفوا كثيراً من الاهانات والاضطهادات · فغادروا تلك الارجاء قاصدين بلاد البلغار · فسادت بعدهم اللغة اللاتينية ومعها الطقوس اللاتينية في كنائس الصقالبة المورابيين والبولونيين والبوغيميين والدالماتيين والخورڤاتيين وسقط هذا الشعب في فخاخ الباباوية· اما بذار الايمان المسيحي الارثوذكسي التي بذرها الاخوان القديسان كيرلوس ومثوذيوس في ما بقي من بلاد الصقالبة فاخذت في النمو والازدياد رويداً رويداً الى ان ملأت ارجاء تلك البلاد ولم يزل سكانها متمسكين بالايمان المسيحي القويم · والكنيسة المقدسة احصت هذين الرسولين — كيرلوس ومثوذيوس — في سجل القديسين وهي تعيد تذكاراً لهما في ١١ ايار من كل عام



الأمير فلاديمير



فامر بربطه باذناب الخيل وجره من الجبل وطرحه في نهر دنيبر وهكذا قضي على الآلهة الوثنية في كيف

بعد ذلك اخذ المطران والكهنة يجوبون انحاء المدينة وشوارعها بالوعظ والانذار والتعليم والارشاد وقد ساهمهم بذلك الامير نفسه. فاعتمد بعض الاهالي بفرح عظيم ولكن معظم اهل المدينة ابوا قبول هذا الايمان الجديد وامتنعوا عن المعمودية وذلك لتمسكهم الشديد بعرى دينهم القديم. فاصدر حينئذٍ الامير امراً يدعو به جميع الشعب الروسي لاقتبال المعمودية في نهر دنيبر ومن لا يحضر يكون عدوًّا للامير

فلما كان اليوم المعين اجتمع تقريباً كل الشعب عند ضفة النهر وكان المتزعزعون منهم وكذلك المتمسكون بعباداتهم القديمة يعزون انفسهم قائلين:— لو لم يكن الايمان اليوناني مستقيماً لما قبله الامير واشراف البلد. ثم لم يلبث ان حضر ايضاً الامير ڤلاديمير مع

اولاده والمطران وجماعة الاكليروس وسائر الاشراف
والشيوخ · واذ كان كل شيء مهيئاً اعطى الامير
اشارة صريحة الى الشعب لينزل الى النهر اما هو فسجد
على ركبتيه وصار يصلي · فنزل الشعب الى الماء وكان
الرجال وقوفاً في جهة والنساء في جهة اخرى حاملات
اطفالهنّ والاولاد عند الشاطيء · اما المطران والكهنة
فدخلوا القوارب المعدة لهم واخذوا يتلون صلوات
المعمودية وعبرات الفرح والسرور تجري من عيونهم
بينما كان الامير يصلي الى خالق السموات والارض
طالباً منه بحرارة ان يسكب نعمه على شعبه الجديد
ويفتح امامه ابواب الخير والسعادة ويثبته في الايمان
المستقيم · وقد تم هذا الاحتفال العظيم في سنة ٩٨٨
للمسيح · وعلى هذه الصورة دُفنت كيف الوثنية وبرزت
كيف المسيحية مستنيرة بنور الايمان القويم

ومن ذلك الحين اخذت الديانة المسيحة تنتشر

من كيف الى سائر انحاء البلاد الروسية · واما الامير ڤلاديمر فشرع في تشييد الكنائس · فبنى على التلة حيثما كان الصنم بيرون كنيسة للقديس باسيليوس ثم شاد الكنيسة العشرية التي كان يقدم لها عشر الاموال الاميرية ثم اهتم باقامة المدارس الدينية ونسخ الكتب المقدسة ونشرها بين الرعايا

وقد ولدت الديانة الارثوذكسية ڤلاديمر ولادة ثانية وجعلته بان يكون محسناً عظيماً رقيق القلب لين العريكة محباً لرعيته غيوراً على مصالحها متمسكاً بالصالحات عاملاً على نشر الايمان المسيحي في كل البلاد الروسية · وبهذا شاد لذكره تمثالاً عظيماً على دعائم المجد ولقب بالشمس المنيرة والمعادل الرسل وبدر روسيا وغيرها من الالقاب المجيدة

وفي سنة ١٠١٥ انتقل هذا الامير العظيم الى الحياة الابدية ودفن في الكنيسة العشرية باحتفال نادر النظير

نمضي كما مضت القبائل قبلنا

لسنا باول من دعاه الداعي

تبقى النجومُ دوائرٌ افلاكُها

والارض فيها كل يوم ٍ ناعِ

وزخارف الدنيا يجوز خداعها

ابداً على الابصار والاسماعِ

وقد بكاه الشعب الروسي طويلاً واقاموا له على احد تلال كيف تمثالاً جميلاً وألف كتبتهم في تدوين اعماله وتقريظه الكتب الكثيرة ونظم شعراؤهم في ذلك القصائد الحسان . ومنذ وفاته حسبه العالم المسيحي وخصوصاً الروسي باراً عظيماً وقديساً مجيداً ورسولاً كبيراً وبدراً في فلك الدين منيراً . وسنوياً يعيد الروسيون قاطبةً تذكاراً لهُ في ١٥ تموز ويقيمون الاحتفالات الباهرة في هذا اليوم تذكاراً لتنصرهم واعتناقهم الايمان القويم

الفصل العاشر

﴿ القديس ميخائيل ﴾

﴿ اول مطارنة كيف ﴾

هو الطيب الذكر والغيور على استقامة الرأي والمحافظة على عقائده — القديس ميخائيل — الذي نشر الايمان المسيحي في البلاد الروسية ووطد دعائمه بما خصه الله به من العلم والفضل وعلوّ الهمة وحسن السياسة ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن ولادته ونموه ونشأته ودخوله في سلك الرهبنة ووصوله الى درجة رعلة الكنيسة بل نعلم عنه انه بلغاري الاصل ورجل عظيم

ذكرنا في الفصل المتقدم ان الامير فلاديمر طلب من امبراطوري القسطنطينية والبطريرك المسكوني ان

يرسلوا لهُ مطرانًا وبعض الاكليروس لانارة رعاياهُ ·
فلم يجدوا كفوءًا لهذا العمل العظيم الاَّ المطران ميخائيل
فارسلوه مصحوبًا باربعة اساقفة وكثير من الكهنة
والشمامسة · وبعد اعتماد سكان كيف كما اسلفنا صار
هذا القديس ابًا للشعب الروسي ومعلمًا صالحًا لهُ ·
والمؤَرخ الغربي اديمار الذي كان معاصرًا لهُ يقول عنه:
« · · · فأَتى الاسقف اليوناني الى روسيا وقاد قلبها
الى حضن الكنيسة المسيحية »

وبعد ان ثبت القديس ميخائيل سكان كيف في
الايمان المستقيم اوغل في البلاد الروسية يكرز ويعمد
هادمًا تماثيل الالهة الوثنية ومقيمًا في اماكنها كنائس
للعبادة الحقيقية · وقد كرز في نوفغورود سنة ٩٩٠ وفي
روسطوف سنة ٩٩١ وكان الله يثبت عزائمه ويعزيه
بنمو ابرشيته

وكان هذا الرسول باذلاً قصارى جهدهِ لترقية

شؤون ابنائه المسيحيين لاسمى درجات النجاح والفلاح غارساً في افئدتهم شعار التقوى والاستقامة حاضاً اياهم على سلوك سبل الطهارة والامانة معتنياً على الخصوص بانارة عقول الاحداث وتهذيبهم وغرس بذور حب الايمان في رياض افئدتهم النضرة فكان دائماً يعظ معلمي المدارس التي اقامها الامير ڤلاديمر ويرشدهم الى الطريق الاقوم مؤكداً عليهم ان يقودوا الاطفال والفتيان الى انوار الحق وحظيرة الصلاح . — قال احد مؤرخي الروس القدماء : «وقد احتمل هذا القديس اتعاباً كثيرة ومشقات شتى في سبيل نشر الايمان واذاعة الهدى حاذياً حذو الرسل الاطهار فقد قاد كثيراً من الغير المومنين الى المسيح مسهلاً لهم كل شيء وعلاوة على ذلك فقد كان اباً للفقراء والبائسين وسنداً للايتام والملهوفين وعضداً للضعفاء والمظلومين»

ولم يزل القديس ميخائيل عاملاً في كرم الرب

حتى وفاته في ١٥ حزيران سنة ٩٩٢ · فحزن عليه الشعب الروسي حزناً عظيماً وبكاهُ الامير ڤلاديمر بكاء شديداً لانهُ كان المساعد الاول له في انارة الروسيين ونشر بشرى الخلاص فيما بينهم· وقد دُفن جسدهُ في الكنيسة العشرية. وفي سنة ١١٠٣ نُقل الى دير المغائر وبقيت عظامه الغير البالية في هذا الدير الى الآن

الفصل الحادي عشر

﴿في ما جرى منذ وفاة الامير فلاديمير﴾

﴿من سنة ١٠١٥ الى سنة ١٠١٩﴾

كان للامير ڤلاديمير اثنا عشر ولداً وكان قبل وفاته قد قسم بينهم البلاد فكان اقليم توروف لسڤياتوبولك · ونوفغورود لياروسلاف · وروسطوف لبوريس · وموروم لغليب · · وكان سڤياتوبولك اكبرهم سناً ولدى كانت وراثة تخت كيف لهُ الاَّ ان ڤلاديمير كان يميل لبوريس اكثر من جميع اخوتهِ وفي عزمهِ ان يجعله اميراً لكيف · فلما علم سڤياتوبولك بذلك احتدم غيظاً و بعد وفاة ابيهِ اسرع فقتل اخويهِ بوريس وغليب اللذين احصتهما الكنيسة في مصاف القديسين

واخذ يجند جنداً ليسير بهِ لمحاربة اخيهِ ياروسلاف مؤملاً ان ينتصر عليهِ ويقتلهُ كما قتل اخويهِ ليستبد وحدهُ بالاحكام · ولكن صروح اماله قد هدمت بسرعة واصابهُ ما اصاب من يصغي الى تخيلاتهِ لان اخاهُ ياروسلاف اذ علم بما جرى واطلع على افكار اخيهِ وعرف ان في الزوايا خبايا اخذ للحال رجاله وابطاله وسار بهم لمحاربة سفياتوبولك وبعد قتال شديد قهره قهراً عظيماً ومزَّق شمل جنوده كل ممزَّق فتقهقروا الى الوراء طلباً للفرار من هول المصاب · وتفرَّقت ايادي سبا مولية الادبار ناكصة على الاعقاب · اما سفياتوبولك ففرَّ هارباً وطمس ذكرهُ · فجلس ياروسلاف على سرير الامارة في مدينة كيف ووطَّد سطوته فيها ولم يعد لاحد يد في مهام الامارة فاستبد بامورها وحده ولم يبقَ لهُ معارض ولا شريك

الفصل الثاني عشر

﴿ الامير ياروسلاف الحكيم ﴾

﴿ تولى سنة ١٠١٩ وتوفي سنة ١٠٥٤ ﴾

لما استلم الامير ياروسلاف مقاليد الامارة اخذ في اصلاح ما فسد في البلاد ايام الشقاق والمخاصمات التي جرت بين اخوته · ثم شرع يحشد الجيوش الجرارة وقايةً للبلاد من الاعداء وحفظاً لها من الخلل والفساد فبلغت روسيا في ايامه حد القوة والمنعة · غيران البيتشينيغيين ما فتئوا يواصلون التعديات على بعض الحدود الروسية ويقلقون راحة السكان · فاضطر حينئذٍ ياروسلاف ان يزحف عليهم ليأمن على بلادهِ من غدرهم ويتقي شرهم ومكرهم · ففاز بمبتغاه واوقعهم في

العطب والهلاك حتى لم تعد تقوم لهم قائمة

بعد ذلك وجه كل اهتمامه الى رفع شان البلاد وترقية شؤونها ونشر الديانة المسيحية في انحائها · ورفع الوية العلم والمعارف في ارجائها حتى زهت في ايامهِ وبدت فيها طلائع السعد والاقبال · وكان الامير ياروسلاف يعتني ايضاً بتشييد الكنائس وتزيينها وتعميم المدارس واتقانها ونسخ الكتب الدينية وترجمتها الى اللغة السلافية ونشرها بين الرعايا · فعلى هذه الاعمال الجليلة احبه الخاص والعام واجمع الجميع على ولائه والتعلق بهِ ومما زادهم حباً لهُ واكراماً لشخصه ما كان متصفاً به من الصفات الحميدة والمناقب السامية فقد كان رجلاً شجاعاً حاذقاً ثابتاً عادلاً حليماً مخلصاً لاصدقائه ومؤنساً للجميع

وقد زادهُ شهرة ما سنه للروسيين سنة ١٠٢٨ من الشرائع والقوانين التي بقيت دستوراً للاعمال مدة

طويلة ولكنها كانت تنقح ويُزاد عليها طبقاً للازمنة والاحوال ومراعاة للامكنة والظروف · واسمها « روسكايا براڤدا » اي « الحقيقة الروسية » وقد رتب لكل ذنب او جرم جزاءً ماليًا يدفعهُ المذنب او المجرم بالنسبة الى كبر جرمهِ وصغره . مثلاً :

« من يضرب احداً بالعصا او بشيء غيرها يدفع جزاءَ عمله غرامة مقدارها ٢٤٠ ريالاً من الفضة »

« من يقطع اصبعاً يدفع ٦٠ ريالاً » الخ

ولم يبطل ياروسلاف عادة الاخذ بالثار التي كانت شائعة في تلك الازمنة في روسيا (انظر الفصل السادس من هذا الكتاب) · الاَّ انهُ اباح ذلك للاقارب فقط · ولكن هذه العادة قد أُلغيت بعد ياروسلاف وأُبدلت بما ياتي :

« من يقتل شريفاً او رجلاً عالي المقام يدفع غرامةً قيمتها ١٦٠٠ ريال من الفضة »

« من يقتل رجلاً عامياً من متوسطي الحال يُغرم بدفع ٨٠٠ ريال»

« من يقتل امرأة يدفع ٤٠٠ ريال»

. . . .

ولما صار ليار وسلاف من العمر ٧٦ سنة توفي بسلام سنة ١٠٥٤ تاركاً خمسة ابناء وكان قبل وفاته قد قسم بينهم البلاد الروسية مودعاً اياهم بهذا الخطاب « بنيَّ . عيشوا بالمحبة الصادقة والولاء الحقيقي . لا تخاصموا بعضكم بعضاً بل كونوا متفقي الكلمة خدام مصلحة واحدة وغاية واحدة ولا تنسوا انكم ابناء اب واحد وام واحدة مراعين الحقوق والواجبات التي يطلبها منكم وطنكم . حافظوا على شرف اجدادكم وابائكم وتمسكوا بالطريق الاقوم . وبهذا ترتفع منزلتكم وتكبر شوكتكم ويزداد فخركم وتنمو بلادكم . يا اولادي لا تخالفوا وصيتي وتثيروا الحرب بينكم لان هذا مما

يورث الانقسام والضعف ويبعدكم عن السعادة والراحة ويجعلكم ان تسقطوا في حفر الذل والهوان ...فاحفظوا ما قلته لكم ولا تخالفوا وصيتي فيحل بكم الوبال في مخالفتي »

الاَّ انَّ اولادهُ وحفدته لم يعتمدوا على هذه الوصية المؤيدة بالتوفيق والفلاح بل خالفوها فحلت في بلادهم من جراء ذلك جيوش المحن والنوائب واستعبدتها ابطال الاهوال والمصائب

الفصل الثالث عشر

﴿ البار ايلاريون ﴾

اول مطران روسي

هو الطيب الذكر والمتعبد لله والغيور على رفع شان الكنيسة الروسية وتوطيدها على دعائم الثبات والنمو · كان معاصراً للامير ياروسلاف المتقدم ذكره وكان في اول امره كاهناً في قرية بيريستوف بالقرب من كيف · وقلما نعلم عن حالته قبل انخراطه في سلك الاكليروس · وانما علمنا انهُ لم يكن يهمه شيء من من اعمال هذه الدنيا ولم يكترث بعمل من الاعمال العالمية كأن العناية حفظته لخدمة لا يقوم باعبائها الاّ نفر قليلون من بني الانسان · اخيراً قضى عليه حبهُ للتزهد وتعلقهُ الشديد بالعيش النسكي ان يلازم الانفراد بعيداً عن تيار هذا العالم · فلجيء الى مغارة حفرها لنفسه

في احد جبال كيف باقترب من نهر دنيبر وصار يقضي فيها اغلب الاوقات ملازماً الصوم والقنوت والتهجد . ولم يلبث هنالك مدة حتى ذاع صيته في كيف وبلغ الامير ياروسلاف فاستدعاهُ من مغارته وارغمهُ سنة ١٠٥١ على تسلق كرسي الرئاسة الروحية . اما مغارته فصارت مأوًى لاحد اتقياء الله (القديس انطونيوس) واصبحت بعد ذلك اساساً لدير المغاور الشهير الذي سياتي الكلام عنه في الفصل الاتي

وشرع البار ايلاريون في مباشرة المهام التي عهدت اليهِ بهمة ونشاط ودراية . فكان يعتني بتعليم ابنائهِ وبث روح الفضيلة والتقوى في افئدتهم وارضاعهم لبان المعارف والهدى وايجاد الوسائل والوسائط الباعثة اياهم الى طرق الفلاح والنجاح والمؤيدة بالراحة والسعادة

وفي زمانه كثرت المؤلفات والمصنفات الروسية وازدادت اندية العلم وانشئت المكاتب وكثر نسخ

الكتب وترجمتها من اللغة الروسية · وله مولف عن الشريعة الموساوية والنعم الالهية كله مشحون بالمعاني المؤثرة والعبارات اللطيفة التي تدخل الآذان بلا استئذان

وكان مع هذا نزيه النفس كريم الاخلاق واسع الصدر ورعاً تقياً حازماً مقداماً كريماً حليماً محباً للعدل واهله مثابراً على الفروض الدينية مضحياً النفس والنفيس لاجل نشر الديانة المسيحية وتعزيزها · وكان عاملاً في خدمة طائفته بكل قواه عقلاً وجسداً بين مواعظ وخطب وتدريس وارشاد · وكان محباً للفقراء ومحسناً اليهم · وبالجملة فقد كان هذا البار نوراً تنبعث منه اشعة الفضيلة والقدوة الحسنة في سائر انحاء البلاد واجمع اهلها على حبه واحترامه واكرامه

وما زال البار ايلاريون عاملاً في كرم الرب مدة طويلة حتى رقد بسلام · مملوءاً من الايام

الفصل الرابع عشر

القديسان البارّان

انطونيوس وثاودوسيوس

مؤسسا الرهبنة في الكنيسة الروسية

وُلد القديس انطونيوس في مدينة ليوبيتش من ولاية تشرنيغوف سنة ٩٨٣ . وكان ابواه فاضلين تقيين امتازا بصلاح السريرة واشتهرا بكمال السيرة واتصفا باحمد المناقب واجل الفضائل . فتربى ابنهما في حجرهما تربية حسنة جداً . وكان منذ نعومة اظفاره يميل الى الانفراد والاعتزال عن الناس وهذا ما دعاه ان يترك عائلته وينفرد في احد الاديرة حباً بالعبادة والمواظبة على الصلاة والتأملات الروحية . واذ لم يكن في روسيا الى ذلك الوقت ما يروي ظمأه ويشفي غليله

من هذا القبيل غادرها وذهب الى جبل آثوس الشهير[١] حيثما افرغ ذاته للنسك والتعبد والتقشف الصارم

---

(١) يوجد في ارخبيل اجيان او اغيون شبه جزيرة كبير ذو شعب ممتدة فيه قليلاً . وشبه الجزيرة المذكور ينتهي بثلاثة اشباه جزر مشهورة صغيرة وذلك في طرف ذلك الارخبيل الشمالي الغربي . وشبه الجزيرة الشرقي من اشباه الجزر الثلثة المذكورة يسمى بشبه جزيرة اثوس طوله نحو اربعين ميلاً وعرضه اربعة اميال ومنه ما يمتد الى الجهة الشمالية الشرقية . وهذا القسم هو من ولاية سلونيك العثمانية . ويسمى الآن باليونانية اغيون اوروس اي الجبل المقدس وموقعه بين ٢٢ درجة من الطول الشرقي و٤٠ درجة و٩ دقائق من العرض الشمالي بين جون قونتسة وجون مونتي سانتو اي الجبل المقدس نسبة ايطاليانية الى جبل اثوس . وهو من البلاد المسماة روم ايلي . — اما شبه جزيرة اثوس المذكور فهو كثير الجبال والاودية والشقوق . وفي نهايته الجبل الذي يسمى باسمه اي جبل اثوس المذكور . ارتفاعه نحو ستة آلاف وثلثماية قدم وقمته من صخر الكلس الابيض . وقد اشتهر في

وبعد ان استقام القديس انطونيوس في هذا الدير ردحاً من الزمن اشار عليه احد الرهبان (وهو

الازمنة القديمة كشهرته في هذا الزمان فكان اليونانيون القدماء (الوثنيون) يعتبرونه اعتباراً دينياً بالنظر لوجود هيكل الاله ابولون الشهير فيه . وكان اسمه اذ ذاك ابولونيادا نسبة الى ابولون . اما تسميته « اثوس » او «اثون » فنسبةً الى احد انبياء البعل المدعو« اثوس» الذي كان يكشف للناس افكار الاله الاكبر ويطلعهم على مستقبلهم . فكان سكان النواحي المجاورة يتقاطرون اليه بكثرة لينالوا من الاله بواسطته اجوبة شافية على اسئلتهم .— اما المسيحيون فاعتبروه ايضاً اعتباراً دينياً للحادث الآتي : لما اجتمع الرسل الاطهار بعد حلول الروح القدس ليقتسموا الارض بينهم للكرازة بالانجيل ارادت والدة الاله ان يكون لها نصيب في ذلك . ولما أُلقيت القرعة واصاب كلٌ قسمه كانت الارض التي نالت كرازة السيدة ام الاله فيها بلاد غروزيا فاخذت السيدة تستعد لذلك . الاَّ ان ملاك الرب اتاها ليلاً وقال لها : لا تغادري اورشليم لان الناحية التي وقعت لك بالقرعة ستستنير بانوار النعمة الالهية وينتشر فوقها كنفك اما الآن فقد اختار لكِ الرب الاله ارضاً اخرى » فبقيت والدة الاله في اورشليم

شيخ فاضل كان صاحب الترجمة قد تتلمذ عنده) ان يرجع الى روسيا و يؤسس فيها مبادئ الرهبنة · فرضخ

تنتظر مشيئة ولدها وسيدها · — وفي ذلك الزمان كان لعازر الذي اقامه يسوع المسيح من الموت اسقفاً في جزيرة قبرص وكان يرغب كثيراً في ان يرى ام الاله ولكنه لم يتجاسر ان يسافر الى اورشليم خوفاً من اضطهاد اليهود · فلما علمت والدة الاله بقصده ارسلت تعزيه طالبةً منه ان يرسل وراءها مركباً فتاتي اليه · فسرَّ لعازر كثيراً ورضخ لطلبها وارسل اليها مركباً فاقلعت عليه وبصحبتها يوحنا المتكلم باللاهوت قاصدَين جزيرة قبرص الاَّ ان المركب سار بهما مدفوعاً بقوة زوبعةٍ شديدة ثارت في البحر الى مرفإ جبل آثوس المذكور· وكان هذا الجبل في ذلك الوقت مرسحاً للغباوة والجهالة وفيه كثير من تماثيل الالهة الكاذبة والهياكل الوثنية · فلما اقتربت والدة الاله من الجبل صرخت الارواح النجسة من داخل الاصنام :« اسرعوا ايها المسترسلون في حب ابولون اسرعوا الى الشاطيء واستقبلوا مريم ام الاله العظيم يسوع » فهبَّ الشعب واسرعوا الى الشاطيء واستقبلوا السيدة العذراء بكل تبجيل واكرام وسالوها ان تقص لهم عن حياة يسوع المسيح و كيف ولدته · فاخذت والدة الاله تشرح لهم عن سر التجسد الالهي

القديس انطونيوس لهذه المشورة وعاد الى وطنه قاصداً آكام كيف حيث اختار لنفسه على احداها مغارة

وتكشف لهم تعليم الانجيل . فآمن المتبهون منهم واعتنقوا الايمان المسيحي وحطموا الاصنام . بعد ذلك ابقت ام الاله عندهم احد رجال الرسل و باركتهم ورجعت الى قبرص ومنها الى اورشليم . ومن ذلك الوقت صار المسيحيون يعتبرون هذا الجبل مقدساً وشرعوا يشيدون فيه كنائس ومحلات كثيرة للعبادة منها ما بني في دولة الملك قسطنطين . واول من بنى فيه كنيسة القديس اثناسيوس اثوس باسم السيدة العذراء وصادف صعوبات كثيرة غير انه تم بناؤُها بعد ذلك بنفقة الملك نيكوفوروس اجابةً لتوسلات القديس المذكور ثم ارسلت اليها هدايا كثيرة ملكية فصارت غنيةً متقنة . واقام ايضاً بالقرب من تلك الكنيسة اديرة صغيرة متفرقة واخذ يقبل كل الذين كانوا ياتون اليه ليرشدهم في امر النسك . . — اما عدد الاديرة الموجودة في جبل اثوس في الحاضر فهو ٣٢ ديرًا ويقال ان فيه ثمان مئة كنيسة ومغارة للعبادة . وكان في كثير من اديرته مكاتب مهمة ثمينة عادت بنفع عظيم على العلوم اليونانية في اوروبا في القرن الماضي ونتجت عنها زيادات مفيدة . — وعدد الرهبان في ذلك الجبل نحو ثمانية آلاف

البار ايلاريون المتقدم ذكره في الفصل السابق (سنة ١٠٥١)واعتكف فيها على الصوم والصلاة غارقاً في

راهب اغلبهم يونان وروسيون ثم يوجد بينهم كثيرون من البلغار والملدافيين والغروزيين وغيرهم . وكلهم من الروم الارثوذكس . واكثر معيشتهم من احسانات اصحاب الخير في روسيا والفلاخ والبغدان وبلدان اخرى . . — هذا وقد قلنا ان جبل اثون يسمى بالجبل المقدس وقد اطلق هذا الاسم على كل شبه جزيرة اثوس . ولا يسمح لانثى وان كانت من الحيوانات بالدخول اليه . وذلك بناء على الحادث الآتي : قيل ان الملكة بلاكيديا ابنة الامبراطور ثاودوسيوس العظيم ارادت سنة ٣٨٢ ان تزور الكنيسة التي شادها ابوها في جبل اثوس . ولكنها لما ارادت الدخول اليها سمعت صوت السيدة والدة الاله زاجراً اياها عن الدخول . فمن ذلك الوقت وضع اباء اثوس قانوناً بمنع كل انثى عن الدخول اليه وقد ثبت هذا القانون بعض الملوك . — وكثيراً ما كان يقصد هذا الجبل كثيرون من الملوك والامراء لاجل الراحة من اشغالهم الجسدية وكذلك كثيرون من البطاركة وارباب المناصب وغيرهم . . — اما عيشة رهبانه فتقشفية وضيقة جداً . وهم يشتغلون بالتصوير وصنع الشموع وبالاشغال الزراعية .

بحار التامل والمناجاة الربانية . — فما طال ذلك الاّ علم به المؤمنون فهبوا يتواردون اليه من كل ناحية : بعضهم لاستماع عظاته واقواله المقدسة وغيرهم للانتفاع بادعيته وبركاته وآخرون للبقاء بالقرب منه ليتعلموا من مثاله الصالح التقوى وحسن العبادة

اما القديس ثاودوسيوس فولد في مدينة ڤاسيليف

وللاماكن المجاورة له منظر جميل جداً وفيه ايضاً ما تصبو العين الى النظر اليه . وفي جوانبه غابات متسعة من شجر الصنوبر والبلوط والكستنا ومن خصائص صنوبره انه يرتفع كثيراً . . — وشبه جزيرة اثوس كان قديماً جزيرة لانفصاله عن البر بترعةٍ حفرها اكزرسيس ملك الفرس لمرور مراكبه لما كان حاملاً على اليونان . ولا تزال آثار تلك الترعة ظاهرة الآ في وسطها . وقد قيل في تاريخ القدماء انه اشغل كل جيشه ثلث سنوات في حفرها . . — فهذا هو جبل اثوس وهذه هي عظمته . « ويكون في آخر الايام ان جبل بيت الرب يوطد في راس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري اليه جميع الامم وينطلق شعوب كثيرون ويقولون هلموا نصعد الى جبل الرب الى بيت اله يعقوب وهو يعلمنا طرقه فنسلك في سبله» (اش ٢:٢و٣)

بالقرب من كيف · على انه وهو طفل انتقل مع والديه
المشهورين بالغنى والشرف الى مدينة كورسك · ولما
صار لثاودوسيوس من العمر ١٣ سنة توفي ابوه مخلفاً له
مالاً كثيراً على ان صاحب الترجمة لم يكن يميل الى
البهرجة العالمية بل كان منذ حداثته متعلقاً بقراءة
الكتب المقدسة وتلاوة الاقوال الالهية مغرماً بخدمة
الكنيسة وحضور كل الصلوات فيها شديد الشغف
بمطالعة سير رجال الله القديسين والزهاد الابرار بعيداً
عن الاباطيل الدنيوية ومتعشقاً الفضيلة · وكان هذا
الميل يزداد فيه يوماً فيوماً واخيراً عزم عزماً باتاً على
الابتعاد عن هذا العالم الغرور والانتظام في سلك الجندية
المسيحية . ومما ايد عزمه وثبت رغبته ما سمعهُ مرة في
الكنيسة « من احبَّ اباً او اماً اكثر مني فلا يستحقني »
(مت ١٠ : ٣٧) · فللوقت غادر امه الارملة وترك
بيته وكل شيء مختص بالعالم واسرع الى القديس

انطونيوس وتتلمذ له · ولم يمضِ كثير من الزمان الاّ وتوثقت بينهما عرى الصداقة المخلصة المقدسة توثقاً لم يتخلله انفصام

وكان عدد الاخوة في مغارة القديس انطونيوس يزداد يوماً فيوماً · ولما بلغ الى الاثني عشر انتخب لهم رئيساً من وسطهم اسمه ثارلام ثم تركهم وذهب الى اكمةٍ اخرى حيثما حفر لنفسه مغارة صغيرة تحبّس فيها مقطوعاً عن جميع العالم الى آخر حياته · ولم يمضِ بعد ذلك الاَّ برهة قصيرة حتى استدعي ثارلام المذكور ليكون رئيساً لديرٍ بني حديثاً في كيف · فتلبيةً لهذا الطلب غادر دير المغاور قاصداً الدير الجديد . فاجتمع اذ ذاك الاخوة وذهبوا الى القديس انطونيوس في مغارته وطلبوا منه ان يقيم لهم رئيساً جديداً · فقال لهم: «انتخبوا لهذا المنصب اكثركم طاعةً وانقياداً وتواضعاً وتعبداً وانا اثبته باسم الاله العلي» فقالوا جميعهم ليكن

ثاودوسيوس لنا رئيساً ومدبراً · فباركه القديس انطونيوس وقلّده مقاليد ادارة الاخوة

اما القديس ثاودوسيوس فكان اول عمل باشر بهِ هو انهُ بنى كنيسة وديراً صغيراً وانتقل اليهِ سنة ١٠٦٢ مع بقية الاخوة · هكذا أُسّس دير المغاور الشهير وهكذا كان تأسيس الرهبنة في روسيا

واستمر القديس ثاودوسيوس مع اخوته يقضون اغلب ساعات النهار في الصلاة والعبادة متوغلين في التأمل بعواقبهم الاخيرة ذاكرين ما فرط منهم في بحر النهار منسحقين على هفواتهم لا يأنفون من اتيان اعمال المحبة المسيحية · فكان بابهم وايديهم مفتوحة لكل الاحتياجات وملافاة جميع التعاسات البشرية . فكانوا يرحبون بكل ضيوفهم إن اغنياء او فقراء مرضى او قطاع طريق ابراراً او خطأة اصدقاء او اعداء ويعطون لكلٍ مطلوبه : — للفقراء والمقطوعين — الطعام

الجسدي والروحي والعظات وما شابه ذلك. وللاغنياء ومن على شاكلتهم — الطعام الروحي والارشادات والانذارات وما اشبه . . . ولم يزل هذا الدير الى الآن يقيت مجاناً الوفاً وعشرات الالوف من الزوّار الذين يتقاطرون اليهِ من جميع اقاصي البلاد الروسية

وما زال القديس ثاودوسيوس مصباحاً ساطعاً لكل طالب وينبوعاً لكل وارد حتى توفاه الله سنة ١٠٧٤ اما وفاة القديس انطونيوس فكانت سنة ١٠٧٣ ولهُ من العمر ٩٠ عاماً. فحسبهما العالم المسيحي ولا سيما الروسي في سجل القديسين وسنوياً يعيد الروسيون تذكاراً لهما في ١٠ تموز (للقديس انطونيوس) و٣ ايار (للقديس ثاودوسيوس) . وقد دُفنت عظامهما الغير البالية في دير المغاور

الفصل الخامس عشر

﴿ البار نسطر ﴾

﴿ اول مؤرخ روسي ﴾

لقد نبغ بين رهبان دير المغاور المتقدم ذكره نفرٌ اشتهروا بالعلم والتأليف والتصنيف تفتخر روسيا بهم واشهرهم البار نسطر الذي نحن بصدده

وُلد هذا البار في مدينة كيف. وكان منذ صباه متعلقاً بقراءة الكتب المقدسة ومطالعة سير القديسين وتلاوة اخبارهم. وكان هذا الميل يزداد فيهِ كلما تقدم سناً. حتى انهُ قبل ان يتجاوز السابعة عشرة من عمره غادر بيت ابيه قاصداً دير المغاور وهناك انخرط في سلك رهبانهِ في رئاسة القديس ثاودوسيوس. فاحبهُ

رفاقه لما آنسوه فيهِ من التقوى والوداعة ونكران النفس

قلنا في الفصل السابق انهُ كان يتوافد لزيارة دير المغاور كثيرون من الناس من طبقات متنوعة فكان البار نسطر يتردد على اكبرهم سناً واكثرهم اختباراً ويسألهم عما كان يخطر في باله · وكانت اكثر اسئلتهُ عن حالة روسيا في الزمن الماضي واخبار امرائها السالفين ومشاهير رجالها المتقدمين وما شاكل ذلك. فكانوا لا يبخلون عليهِ بشيءٍ من ذلك · اما هو فكان باشتياق ولذة يسمع ويعي ويزداد كل يوم علماً وخبرةً وبما انهُ كان ذكياً وذا قريحة وقادة فلم يكن ينسى شيئاً من احاديثهم · ولم يمضِ عليهِ الاَّ برهة يسيرة حتى اصبح عارفاً اغلب الحوادث التاريخية التي جرت في روسيا بالتفاصيل الكلية · اخيراً عزم على تأليف كتاب شامل لتاريخ وطنهِ من اول نشأتهِ الى زمانهِ · ولم

يصادف ما يعرقل مساعيهِ ويثنيهِ عن عزمهِ · فألف في هذا الموضوع كتاباً كبيراً مفيداً تناقلته بعده الايدي جيلاً بعد جيل حتى وصل الى ايامنا الحاضرة وهو الآن محفوظ كقدس عند الروسيين وعليهِ يعتمد المؤرخون في كتاباتهم

وله ايضاً مؤلفان احدهما في تاريخ القديسين بوريس وغليب (اولاد الامير ڤلاديمر) والآخر في حياة القديس ثاودوسيوس موسس الرهبنة في روسيا

وفي سنة ١١١٤ توفي البار نسطر ودفنت عظامهُ الغير البالية في دير المغاور الشهير · والكنيسة الروسية تعيد تذكاراً لهُ في ٢٧ تشرين الاول من كل عام

الفصل السادس عشر

﴿ في ما جرى منذ وفاة الامير ياروسلاف ﴾

﴿ من سنة ١٠٥٤ الى سنة ١١١٣ ﴾

بعد وفاة الامير ياروسلاف ابتدأت البلاد الروسية تميل الى السقوط والضعف فاقدة ما كانت قد حصلت عليه من السطوة ورفعة الشان وشبت فيها نيران الحروب الاهلية التي قادتها الى الحضيض · وذلك بسبب العادة التي كانت جارية اذ ذاك عند الامراء من تقسيم المملكة بينهم · فان كل امير منهم كان يستولي على اقليم بما فيه اما اكبرهم سناً فكان يستولي على عرش كيف ويلقب بالامير العظيم · وكان كلٌّ من الامراء يستعمل الوسائط الفعالة للحصول على اقليم

اكبر مضحياً لاجل ذلك كل ما عزَّ وهان حتى ودم اخيهِ · هذا وعدد الامراء يزداد يوماً فيوماً وعدد الولايات يكثر ايضاً · فعلى هذه الصورة انقسمت البلاد الى اجزاء كثيرة يتعذر بسببها اتحاد القوة وانضمام الكلمة · ولا يخفى ما كان ينجم عن هذا من الاخلال وضياع الحقوق · وهذا ما جعل الاعداء يشنون الغارات على بعض الاقاليم الروسية والامراء عبثاً يحاولون الانتصار عليهم وقهرهم ووقاية بلادهم من شرهم

وكان بين حفدة الامير ياروسلاف الحكيم اميرٌ اسمه ڤلاديمر مونوماخ — كان مثال الطاعة والاستقامة والانقياد للامراء العظام القابضين على زمام ادارة كيف فبعد موت عمه الامير العظيم ايزياسلاف ارتقى سدة الامارة العظمى ابوه الامير فسيڤولود · وبعد موته طلب اهالي كيڤ من ڤلاديمر المذكور ان يكون وريثاً

لابيهِ عندهم فابى ذلك لان الحق في تسلق عرش كيف
كان لابن عمهِ الاكبر الامير سفياتوبولك الثاني ٠
فارسل مونوماخ فاستدعاه ليستلم مقاليد الامور اما هو
فسافر الى مدينة تشيرنيغوف مركز ولايته ٠ ولم يستقم
هنا طويلاً بل حقناً للدماء وحفظاً لشرف البلاد تساهل
مع ابن عمهِ اوليغ وتنازل له عن اقليمهِ وانتقل الى
اقليم اصغر من اقليمهِ بكثير (في ولاية بيريسلاڤل)
مع هذا كله لم تهدأ القلاقل والاضطرابات

وكان البولوفتسيون (وهم برابرة ظهروا من الشرق
وقطنوا في السهول المجاورة لروسيا) يقلقون راحة
الروسيين بتعدياتهم وغزواتهم ٠ فانتبه بعض الامراء
لهذا الخلل وبمساعي الامير ڤلاديمر اجتمعوا سنة ١٠٩٧
في مدينة ليوبيتش للمداولة في هذا الشان ٠ وكان عددهم
ستة امراء ٠ فاقروا على ان يقتسموا الولايات فيما بينهم
بمحبة واتفاق وتعاهدوا بان ينزعوا كل عداوة ويستأصلوا

كل ضغينة من صدورهم واخيراً صافحوا بعضهم بعضاً
وقبلوا الصليب الكريم اشارة الى ثباتهم في حب بعضهم
والمحاماة عن بلادهم بيد واحدة · وقالوا جميعاً : «فليكن
الصليب الكريم ضد من ينكث العهد ويسبب الشر»
ولكنهم عاينوا على اثر ذلك نتيجة اجتماعهم وذلك ان
بعض اقرباء احدهم (الامير داڤيد) ابن عم الامير
العظيم (سڤاتوبولك الثاني) اغروه على اتلاف الامير
ڤاسيلكو بدعوى انه يريد سوءاً به · فارسل الامير
داڤيد بعض رجاله الى ابن عمه الامير سڤياتوبولك
يلتمس منه تسليم ڤاسيلكو له · فاذعن الامير العظيم
لذلك وسلم ڤاسيلكو المسكين لرجال داڤيد وهؤلاء
اخذوه الى احدى قرى كيف وهنا في احد منازلها
ربطوه وقلعوا عينيه ثم حملوه الى داڤيد فطرحه في
سجن مظلم · فلما اتصل هذا الخبر بڤلاديمر اشتعل
غيظاً وعمد الى الانتقام والاخذ بثار المظلوم · فجرّد

حملة وسار بها بمساعدة بعض الامراء نحو كيف لينتقم اولاً من سقياتوبولك . فتوسط اهل كيف بينهما والتمسوا من مونوماخ الصفح عما بدر من امرهم . فرضخ ڤلاديمر لالتماسهم بشرط ان يطرد داڤيد من ولايته جزاء عمله . فتعهد سقياتوبولك بذلك

وفي سنة ١١٠٠ عقد الامراء اجتماعاً آخر وبعد المداولة في شؤونهم عفى ڤلاديمر عن الامير داڤيد وقرر مع بقية الامراء ان يعطوه ولايةً صغيرة يحكم فيها الى آخر حياته

هذا والبولوڤتسيون يعيثون في الارض الروسية فساداً . فوجه الامير مونوماخ التفاته الى هذه المسئلة الخطيرة وبمساعيهِ اجتمع الامراء سنة ١١٠٣ وقرروا ان يعبئوا الجيوش الجرارة ويهجموا جميعاً على هولاء الاعداء ويبلوهم عن آخرهم . وهكذا صار . فهدأت الاحوال بعد ذلك مدة .

وفي سنة ١١١٣ توفي الامير العظيم سفياتوبولك الثاني فاجتمع سكان كيف والتمسوا من الامير فلاديمر ان يتولى ادارتهم فامتنع اولاً الاَّ انهم تمسكوا بهِ هذه المرة ولم يتركوه فلبى طلبهم

الفصل السابع عشر

﴿ الامير ڤلاديمر مونوماخ ﴾

﴿ تولى سنة ١١١٣ وتوفي سنة ١١٢٥ ﴾

استولى الامير فلاديمر مونوماخ على عرش الامارة العظمى والبلاد كما تقدم في معظم الحرب والفساد . فاخذ على نفسه اصلاح شؤونها وتدبير امورها واعادة عزها ومجدها الذي خسرته ابان هذه الشعلة الثورية وقد بذل في ذلك من الجهد والعناية ما ليس وراءه غاية سائراً بذلك بكل حكمة ودراية خشية سوء العقبى واخيراً فاز بما اراد : فقد احيا بحكمته الديار الروسية

وانعشها وانماها من سائر الوجوه · الاَّ انه مع ذلك لم ينجُ من تعديات البولوفتسيين على بعض الاملاك الروسية · فزحف عليهم ودوَّخ بلادهم وارجفهم ورجع من ثم الى كيف غانماً ظافراً كافلاً وقوع اعدائه في وهدة الخوف والجزع من صولته و بطشه

وكان هذا الامير الجليل ثابت الجنان مقداماً حازماً تتجلى في وجهه ملامح الوقار والرزانة · متبصراً لا يعمل عملاً ما لم يتدبره وينظر في عواقبه · ورعاً تقياً مثابراً على الفروض الدينية · وقد اكتسب ثقة الرعية به وحبها الشديد لهُ

وكان مع مزاولة اعماله السياسية وقيامه بمهام منصبه لا يتقاعد عن نصرة العلم والدين والاشتغال بهما في كل الاحوال فقد كان ولعاً بتشييد الكنائس وتعميم المدارس حباً بارشاد العامة وتنوير اذهانهم فلا ينفك عن تعليمهم وتسهيل سبل المعرفة امامهم · وكان لا يضن عليهم

بالمساعدات الادبية والمادية شان الكثيرين من ارباب الفضل واهل الكرامات

ولم يكن اهتمامه بالفقراء والمحتاجين اقل من اهتمامه بالكنائس والمدارس فكان يغيثهم ويأخذ بناصرهم وينفق بسعة عليهم ويتوجع لمصابهم ويتألم البلواهم

وفي سنة ١١٢٥ توفي الامير فلاديمر مونوماخ ماسوفاً عليه من الجميع وقد خدم بلاده خدمة سنيـة عادت عليها بالتقدم والفلاح . وهذا ما اناله اكليل المجد والفخار واكسبه الرفعة وحسن الاشتهار. وكان قبل وفاته قد اعطى اولاده وصية لطيفة اليك بعض ما قالهُ فيها :

« لا تسمحوا بظلم الشعب واضطهاد المساكين بل احكموا بعدل ورأفة وانصاف. — اتصفوا بالتواضع لان هذه الفضيلة الجليلة تقيكم من رذائل كثيرة. — لا تعاملوا الناس بغير ما تريدون ان يعاملوكم به . —

اكرموا من هو اكبر منكم سناًّ ومعرفة · — حبوا نساءكم ولا تدعوهنَّ يتسلطنَ عليكم. — لا تتقاعسوا عن الحرب التي فيها خيرٌ لبلادكم · — احترزوا من الكذب والنفاق والخداع والغش والمكر والسكر وكل الرذائل والنقائص والاخلاق السيئة · — زوروا المرضى ودّعوا الموتى كونوا ابناء للايتام واشقاء للارامل — ليكن خوف الله في قلوبكم حتى تظللكم رحمته وتشملكم نعمته · · وبالجملة لا تستعفوا من كل مشروع خيري يعود على بلادكم ورعيتكم بالخير العميم · والنفع العظيم »

ولكن اولاده لم يحافظوا على هذه الوصية الثمينة فخسروا راحتهم وذهبت سعادتهم وسقطت بلادهم من العيون · ووقعت في وهدة الخيبة وعادت بصفقة المغبون

الفصل الثامن عشر

﴿ في ما جرى بعد وفاة الامير فلاديمر مونوماخ ﴾

﴿ من سنة ١١٢٥ الى سنة ١٢٢٤ ﴾

بعد وفاة الامير فلاديمر مونوماخ شبت نيران الفتن والقلاقل في ارجاء روسيا وهُدِمت اركان السلام والطمانينة التي شادها هذا الامير. و بقيت هذه المخاصمات والاضطرابات ضاربة اطنابها زهاء ٥٠ سنة. وفي خلال ذلك تبوأَ اريكة الامارة العظمى الامير اندراوس بوغوليوبسكي [1] فلما شاهد الحالة السيئة المتورطة فيها روسيا الجنوبية لم يشأ ان يسافر الى كيف بل نقل

(١) هو احد حفدة الامير فلاديمر مونوماخ. لقب هكذا (بوغوليوبسكي) لانه بنى مدينة سماها « بوغوليوبوف» ومعناها « محبة الله »

عرش الامارة العظمى الى مدينة فلاديمر (من ولاية سوزدال) وهي مدينة بُنيت حديثاً

وكان الشيوخ والاشراف قد اعتادوا ابان هذه الاوقات المظلمة ان يسوسوا الامارات حسب تدابيرهم وراياتهم ولم يكن للامير حرية مطلقة في شيءٍ بل كان ماسوراً مقيداً لا ياتي عملاً الاَّ بمشاورة الاشراف والاعيان

اما الامير اندراوس فرفض هذا الانقياد واخذ يتصرف في ادارة شؤون البلاد كما يفتق له عقله · وكان لا ينصاع لارشادات الشيوخ ومشوراتهم مستبداً في عمله لا يراعي احداً. فما عتم طويلاً حتى لقي مقاومات شديدة ومعاكسات كثيرة في كل ما اراد فعله · اخيراً قام عليه الشعب وقتلوه (سنة ١١٧٤).

وبعد موته بقيت مدينة فلاديمر مقرًّا للعرش العظيم وخسرت كييف اهميتها من هذا القبيل

واستمرت الفتن والمقاومات والحروب الاهلية منتشرة في كل انحاء روسيا والمصائب تتناولها عاماً بعد عام بل شهراً بعد شهر وكلما برئت مصيبة تجددت اخرى وكلما اندمل جرح فتح آخر . وبقيت هذه حالتها الى ان انقضت عليها مصيبة عظيمة هدّت قواها ودفعتها الى الحضيض . وهذه المصيبة هي هجوم التتر عليها (سنة ١٢٢٤) واكتساحهم اياها . — وبقيت بعد ذلك مدة طويلة (الى سنة ١٤٨٠) تقاسي الاوجاع والمصائب . وتصادم الاهوال والنوائب . تتقاذفها ايدي الهوان . وتتوافد عليها جيوش الاحزان . وكتائب الاشجان . وترى بها من ضروب العذاب والاضطهاد ما تقشعرُّ منه الابدان . وتعمى لهوله العيون وتستكُّ الآذان

——ooo——

الفصل التاسع عشر

﴿ الكنيسة الروسية ﴾

بعد ان اعتمد سكان كيف كما قدما اخذت انوار النعمة الالهية تسطع في كل مدن البلاد الروسية وقراها بالتدريج حتى اصبحت تلك البلاد مهدًا للديانة المسيحية الارثوذكسية وبذلك تمت نبوءة القديس اندراوس الرسول الذي كما يقول التقليد الكنسي بينما كان يكرز ويبشر بانجيل المسيح وصل الى آكام كيف المشرفة على نهر دنيبر فوقف هنا ونصب عليها صليباً وبارك المكان قائلاً بروح نبوي (مخاطباً تلاميذهُ) هذه الكلمات: «على هذه الجبال ستضيء النعمة الالهية» وبالحقيقة فانهُ بعد مضي تسعة اجيال ونصف لهذه النبوءة تم ما قيل باندراوس الرسول المدعو اولاً فاعتمد

الشعب الروسي مع اميرهم وشرعوا في تشييد الكنائس والمعابد المسيحية في كيف وعلى آجامها وفي بقية المدن. ومن يقابل حالتها الحاضرة مع حالتها القديمة من هذا القبيل يندهش واي اندهاش . . .

وفي كل هذه المدة اي من سنة ٩٨٨ الى هذه الايام بقي الشعب الروسي محافظاً على الايمان المسيحي الارثوذكسي كل المحافظة مضحياً لاجله كل ما عزّ وهان . وكان الله الرحوم يظهر عنايته الخصوصية نحو هذه الامة الحسنة العبادة . فكان زمناً بعد زمن طبقاً لمقتضى الظروف والاحوال يقيم منها ولها رجالاً قديسين ينقذونها من كل الصعوبات والنوائب التي كانت تتهددها. فلا يوجد جيل من هذه الاجيال التسعة الا ومجده الله للامة الروسية اما بظهور ايقونات عجائبية او بعدم فساد اجساد بعض رجالها القديسين او باقامة ابرار وصديقين حاصلين على نعمة فعل

العجائب وبغير ذلك من الوسائط العديدة التي تظهر فيها ظهور النهار لاولي الابصار عناية الله بكنيسته المقدسة وشعبه المؤمن

اما ادارة الكنيسة الروسية فكانت باديء بدءٍ في يد مطران كيف فقط · ولكنه بعد خراب كيف من التتار (سنة ١٢٤٠) نُقل مركز المطرانية الى مدينة فلاديمر ومنها الى مدينة موسكا (سنة ١٣٢٥) ودامت هذه حالتها الى سنة ١٥٨٦ حينما الملك ثيودور تمكن بمساعدة البطريرك الانطاكي ايواكيم (الذي كان قد حضر الى روسيا لجمع احسانات لكرسيّهِ) من استمالة بقية البطاركة الشرقيين لاجل تأسيس بطركية خامسة في روسيا وهكذا صار · فانه في سنة ١٥٨٩ انعقد في موسكا مجمع اساقفة بحضور الملك والبطريرك القسطنطيني والبطريرك الانطاكي حيث تم انتخاب اول بطريرك لروسيا وكان ذلك في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٥٨٩

واسم البطريرك الروسي الاول ايوب . ودامت البطريركية في روسيا الى سنة ١٧٢١ حينما الغاها الامبراطور بطرس الاكبر لاسباب نذكر اهمها . وهو انه لما استقلت بطاركة الدولة الروسية بانفسهم (لان كنائسها كانت خاضعة الى بطاركة القسطنطينية من اول امرها الى حين انتخاب اول بطريرك لها) وعرفوا اهمية منصبهم وسموه خامرهم طلب المجد والسطوة ورفعة الشان وشرعوا يتداخلون في الامور السياسية التي ليست من متعلقاتهم بل تطلبوا مشاركة الملوك في احكامهم بل والسيادة عليهم . ودام الحال على هذا المنوال الى عهد بطرس الاكبر حينما ابطل وظيفة البطركية واسس بدلاً منها مجمعاً دائماً في بطرسبرج كما لم يزل الى يومنا الحاضر

ويُعرف هذا المجمع بالمجمع المقدس وهو مستقلّ عن سائر المجامع الارثوذكسية الاخرى ولكنه حافظ

علاقات الاخوة مع البطركيات الاربع الشرقية وهي بطركيات القسطنطينية والاسكندرية والانطاكية والاورشليمية · وللقيصر السلطة المطلقة في سائر مصالح الكنيسة

وتقسم روسيا من حيث وجهها الديني الى ٦٥ ابرشية يرأسها ٦٥ رئيس كهنة منهم ثلاثة مطارنة وهم مطران بطرسبرج ومطران موسكا ومطران كيف واكسرخس (اكزرخات) واحد في بلاد الكرج وستة عشر رئيس اساقفة والباقون اساقفة . وعند كل واحد من هولاء المطارنة ورؤساء الاساقفة والاساقفة تبعاً لكبر ابرشيته واتساعها يوجد اسقف او اسقفان الى الستة بصفة معاونين · ثم يوجد الآن كنيستان حديثتان تابعتان للكنيسة الروسية وهما الكنيسة البابا وية والكنيسة الاميركية

عدد سكان البلاد الروسية الآن نحو ١٢٩ مليوناً

منهم نحو ٨٠ مليوناً من الارثوذكسيين والباقون طوائف شتى وامم مختلفة

اما الكنائس في روسيا فعددها نحو ٦٠ الف كنيسة بين عمومية وخصوصية

اما الاديرة فعددها نحو ٥٠٠ دير للذكور فيها نحو سبعة آلاف راهب وخمسة آلاف ومئة طالب و٢٤٠ ديراً للاناث فيها نحو ٧٧٠٠ راهبة و٢٢٠٠٠

اما عدد المدارس الروحية في الكنيسة الروسية فيبلغ ٢٥٠ مدرسة منها اربع مدارس عليا لاهوتية تدعى « اكاديمات » و٥٧ مدرسة وسطى لاهوتية تدعى « سمينارات » والباقي مدارس استعدادية تدعى « اكليريكية »

تم بحوله تعالى

فهرست الكتاب

